

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

لجنة الشر



٨٥



www.liilas.com/vb3

^ RAYAHEENA ^



الجمعية العربية الجديدة

التأليف



د. ليل فاروق

رجل

المستحيل

سلسلة

روايات

بوليسية

للجنسية

الاعتماد

الاعتماد

الاعتماد

لمسة النصر

- ما سر ذلك العميل المصري ،
الذي خدع جهاز المخابرات
الأمريكي كله ؟
- كيف تمكن ل (منسى)
و (حسام) أن يواجها أخطر
أجهزة المخابرات ؟
- ترى هل ينجح (حسام) في
تحقيق النصر هذه المرة ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى من
يستحق اللقب .. لقب (رجل
المستحيل) .

www.lillas.com/vb3

^ RAYAHEEN ^



العدد القادم : الشعب

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نيل فاروق

١- الوداع ..

اصطحب قرص الشمس بلونه الأحمر الناري ، وهو يميل إلى الغروب في الأفق ، والزمق الأخير من ضوئه يسقط على الأشجار العالية ، فتلقى ظلها الطويل عند جنول صغير ، يمتد عبر مزرعة ضخمة ، من مزارع مدينة (كيووا) المكسيكية ، في نفس اللحظة التى ظهر فيها رجل وسيم قوى ، متين البنية ، على متن جواد عربى أصيل ، من خلف عدة أشجار قريبة ، والترب فى بطنه من الجنول ، حتى بنفه وقد اختفى التث الأسفل من قرص الشمس في الأفق ، فهبط عن سهوة الجواد ، ووقف يراقب الغروب في صمت ، وقد أطلقت من عينيه نظرة عجيبة ، تجمع ما بين الحزن والضحك والضيق والمرارة ، فى آن واحد ..

ومع غوص الشمس في بحر الأفق ، راح ذهن الرجل يسترجع تكريات متداخلة ، ما بين الغريب والبعيد ..

تكريات والده ، الذى بذل أقصى جهده ، ليجعل منه أعظم رجال المخابرات فى العالم ..

ومصرع هذا الولد ..

ثم تكريات العمل فى القوات الخاصة المصرية ، فبيل وأثناء حرب أكتوبر ، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين .. وبعدها الانتماء بالمخابرات العامة المصرية ..

وتنهّد الرجل ..
تنهّد الصلّاق ، الذي لم تشهد ساحات المغايرت مثيلاً له ، في
العالم أجمع ..

واسترجع ذهنه صورة أحب إنسانة إلى قلبه ..
صورة (منى) ..

زميلته وحبيبته ، التي قضى عمره كله يتحنن للزواج منها ، ثم
وجد نفسه زوجاً لآخر مخلوقة كان يتصوّر علاقته بها ..
بعذوته اللود ..

بـ (سونيا) .. (سونيا جراهام) .. (*)

كم يؤلمه أن بلغت الأمور هذا الحد ..

كم يحزنه أن تنتهي حياته العاطفة إلى هذه النهاية ..

مجرد مزارع ثرى ، في (المكسيك) ..

ولكنه القدر ..

القدر الذي جعله يواجه (باتشوميلازر) ، ويفقد ذاكرته ،
ويدخل في صراع مع (توماس موران) ، و (كال) ، و (هنتز) ،
ومنظمة (مكوريبون) كلها ..

نفس القدر الذي جعل (سونيا) تهرع إليه ، وهي تحمل اسم
(نورما كرينهال) ، فتقاتل من أجله ، وتواجه الموت في سبيله ،
بعد أن قضت حياتها كلها في محاولة للقضاء عليه ، وتطلب الأنوار
أشياء على علب ، حتى تنفذه ، وتصبح زوجته ، وأم طفله
الوحيد .. (*)

طفله ، الذي شاء القدر أن تنجبه له (سونيا) ، بعد أن تمنى
طفلة عمره أن تحمله (منى) ..

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١)

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٢)

(منى) ، التي لم يرها منذ شهر كامل ، عندما غادر منزلها مع
(سونيا) ، بعد أن قضى عليها قصته ، وطلب منها كتمان أمر
وجوده على قيد الحياة ، ليحتل حياة القلب والصراع إلى الأبد ..
مرة أخرى تنهّد في عمق وحرارة ، وقد غاب قرص الشمس
تماماً في الأفق ، وبدأ الظلام يستعد لإسدال ستاره على المكان ، ثم
اتجه (أدهم) إلى جواده ، ووثب على متنه في رشاقة مذهشة ، لم
يلحظها بعد ، وإلى نظرة أخيرة على الأفق ، قبل أن يغرق في
مرارة ..

.. لا بد أن تعترف يا (أدهم) .. لقد انتهت (أدهم صبرى) ، ولم
بعد هناك سوى (أميجو) .. (أميجو صالندو) ..

ولكن جواده لينطلق عائداً إلى مزرعته ، وهو ينحى لنهايته ..
نهاية الرجل ..

رجل المستحيل ..

عبرت الرائد (منى توفيق) بوابة مبنى المخايرت العامة في
خطوات رصينة كعادتها ، وألقت تحية رقيقة على رجال أمن
البوابة ، على الرغم من نظرة الحزن الصيفة ، التي تملأ عينيها ،
وتغلّ منهما في وضوح يستحق الشفقة ، ثم صنعت على قدميها
إلى الطابق الثاني ، وألصقت للممر الطويل في بطنه ، وكأنها لم تعد
ترغب في العمل ، أو لم تعد تطيق الجلوس في مكتبها ، بعد أن
انتهت عملها مع (أدهم) ، الذي يظنه الجميع قد فارق الحياة ، فيما
عاشها ..

هي وحدها تعلم أن (أدهم صبرى) ما يزال حيّاً ، هناك في

(كياوا)، يقضى البقية الباقية من أيامه مع زوجته (سونيا جراهام)، وابنه الوحيد، الذي لم يخبرها حتى عن اسمه ..
 هي وحدها تلوم بذلك السر، الذي انتتمها عليه (أدهم)،
 وطالبها بكنماته ..
 تلوم بحزن لا مثيل له، بعد أن طغى الرجل الذي أحببت مرتين ..
 مرة بزواجه ..
 ومرة برحيله ..
 ولم تستطع بلوغ مكتبها بالتفعل ..
 عجزت قلماها عن حملها إلى هناك، في تلك اليوم ..
 إنها لم تعد تعمل ..
 لم تعد تعمل أبدا ..
 «صباح الخير يا (منى)» ..
 التفتض جسدها، عندما بلغ هذا النداء مسامعها، كما لو أنه قد
 التزعاها من سبات عميق، والتفتت في حركة حادة إلى مصدره،
 فهتف بها صاحبه :
 .. ما هذا ؟ .. لست أظننى مطرعا إلى هذا الحد .
 زفرت لتفتض عنها تلك التوتير، الذي لم تجد له تبريرا،
 وحاولت أن تكتم في شحوب، وهي تقول :
 .. معذرة يا (قري) .. لقد التزعتنى من شرودى فحسب .
 كطالع إليها مشفقا، وقال في صوت خافت حنون :
 .. ألم يكن الوقت بعد، لطرح كل هذا الحزن جانباً ؟
 قاومت رغبة عارمة في البكاء، وهي تقول :
 .. ربما لوما بعد يا (قري) .. ربما لوما بعد .

ارتفع من خلفهما صوت مرج، يقول :
 .. ما هذا الذي ستؤجلاته لما بعد ؟
 التفتتا معا إلى صاحب الصوت، وعقدت (منى) حاجبها في
 ضيق، في حين قال (قري)، وهو يتنسم ابتسامة خائفة :
 .. صباح الخير يا (حسام) .. كيف حالك ؟
 أجابه (حسام) في مرج :
 .. إننى في خير حال، ولكن عزيزا (منى) ما تزال تراقى تقول
 النفل .
 قالت (منى) في ضيق واضح :
 .. من وضع في رأسك هذه الفكرة ؟
 أجابها بجدية مفاجئة :
 .. أسلوبك هذا .
 لم تنبش ببيت شقة، لأنها تعلم أنه على حق ..
 إنها لا تكرر حتى لماذا تعامته بهذا الجفاء ؟ ..
 لماذا ترفض وجوده ؟ ..
 لأنه يحتل نفس الموقع، الذي كان يحتله (أدهم صبرى) من
 قبل ؟ ..
 لأنه يحمل لقب (ن - ٢) ؟ ..
 أم لأنه طلب الزواج منها ؟ ..
 «لماذا يا (منى)» ..
 مرة أخرى التفتضت دون سبب واضح، عندما قال (حسام)
 هذه العبارة، ورفعت عندها إليه في ارتباك، وهي تفهم :
 .. لماذا ماذا ؟

سألها في ضيق :

- لماذا تكرهيننى الى هذا الحد ؟

نقل (قبرى) بصره بينهما ، قبل أن يقول فى حرج :

- (منى) لا تكرهك يا (حسام) ، ولكن ..

قاطعه (حسام) فى صرامة :

- دعها تجيب بنفسها .

ارتبك (قبرى) ، ولم يدرك ماذا يفعل ، فى حين غمقت (منى) :

- هذا صحيح يا (حسام) .. لست أكرهك ، ولكن ..

حاولت أن تجد جواباً منطقياً شافهاً ، ولكنها عجزت عن هذا ، فأكمل هو فى حدة :

- ولكننى احتل موقع الرجل الذى أحببت .. ألومن كذلك ؟

خلطت عينها ، لتخفى تلك الدمعة ، التى ترفرفت فى عيونها ،

وهى تقول :

- اعفونى يا (حسام) .. إبنى ..

قاطعها فى صرامة :

- لا داعى .. لن أطلبك بتبرير مشاعرك ، فهى من حقدك

وحقدك .

صمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- ولكن عليك أن تعلمنى تواجدى ، برغم أنفينا ، فهذه

مهمة تنتظرنا معاً .

تهللت أسارير (قبرى) ، وهو يهتف :

- أخيراً .. أخيراً يا (منى) سنعودين إلى العمل .

أما هى ، فقد غمقت فى توتر بالغ :

- مهمة ؟؟

أوما (حسام) يرأسه إيجاناً ، وقال :

- نعم يا (منى) .. لقد طلب السيد المدير مقابلتنا ، لئلا

مهمة جديدة .

وشره بصره ، وهو يضيف فى حزم :

- ولقد قررت أن أبذل قصارى جهدى فى هذه المهمة ، حتى

يمكننى انتزاع القلب بجدارة .

رئيت فى قلق :

- القلب ؟؟ .. أى قلب ؟

برقت عيناه ، وهو يجيب :

- قلب أسطورة الراحل .. قلب الرجل .. رجل المستحيل .



وايتسم (حسام) . وهو يقول :
- بالتأكيد .

نقل المدير بصره بينهما مرة أخرى ، ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وقال في لهجة حازمة كعادته :

- كلاكما يعلم أن عالم المخابرات ليس بالعالم السهل أو البسيط ، وأنه يتجاوز أحيانا كل تعقيدات السياسة وملاهياتها ، وينغمس فيها حتى التنازع ، في أحيان أخرى ، ولكنه دائما عالم خامض بالغ الخطورة .

قال (حسام) في هدوء ، ولهجة أقرب إلى المزح :

- إننا نعلم هذا .

تابع المدير ، وكأنه لم يسمع هذا التطبيق :

- ولأن عالمتنا تحمل هذه العمة ، فنحن نحتاج دائما إلى معرفة أسرار أجهزة المخابرات الأخرى ، والإطلاع على ما توصلوا إليه ، في كل المجالات ، حتى تكون دائما على أهبة الاستعداد لمواجهة هذه الأجهزة ، إذا ما اضطرننا الأمر يوما لفوض صراع ما معها ، ولهذا أنشأنا ذلك القسم ، المتخصص في زرع بعض العملاء ، في أجهزة المخابرات الأخرى ، مثل الـ (كي . جي . بي) (*) ، والـ (سي . إي . إيه) (**) ، و (المكتب الخامس) (***) ، و (الموساد) (****) ، وغيرها .

سأله (حسام) في اهتمام :

(*) المخابرات السوفيتية .

(**) المخابرات الأمريكية .

(***) المخابرات البريطانية .

(****) المخابرات الإسرائيلية .

٢ - المهمة ..

نقل مدير المخابرات العامة نظره ، بين (حسام) و (منى) ، وهما يجلسان على جانبيه ، في حجرة العرض السينمائي ، داخل مبنى المخابرات العامة ، وقال في هدوء :

- قبل أن تبدأ المشاهدة ، ينبغي أن تعلم أن مهمتكما ليست باليسيرة ، بل إنها - في رأيي - أخطر مهمة للإدارة ، في هذا العام .

برفت صيلا (حسام) في جنل ، وهو يقول :

- إلى هذا الحد ؟

أما (منى) ففهممت :

- لست أرى في الواقع ، ما إذا كنت أستطيع أن ..

قاطعها المدير في حزم :

- إنك تستطيعين .

صعدت حاجبها في ضيق ، فأضاف في صرامة :

- لقد عملت طويلا في القسم الإداري ، بعد عودتك من (المكسيك) ، منذ ما يقرب من العام ونصف العام ، وحين الوقت لعودتك إلى العمل الجاد ، ونسيان الماضي كله ، فعملنا لا يحتمل هذه الأوقات العاطفية الطويلة .

استمعت إليه في صمت ، ثم تمنت :

- نعم يا سيدي .. أنت على حق تماما .

- كلهم مصريون .. أليس كذلك ؟

أوما المدير برأسه إيجابها ، وقال :

- بلى ، ولكنهم يتعايشون مع المجتمعات ، التي تم زرعهم فيها ، كما لو كانوا منها ، فيحملون أسماء تتناسب مع تلك المجتمعات ، بل تاريخاً متفقاً ، بهذا فسمنا بهذا هائلاً ، لمنحه المصادقية المناسبة ، التي تتيح لعملنا الانغماس في المجتمع الجديد لسنوات وسنوات ، حتى ينجح في الالتحاق بأحد أجهزة المخابرات ، وهنا يبدأ عمله .

عاد (حسام) بسأله ، في اهتمام أكثر :

- وهل تتعلق مهمتنا بأحد هؤلاء العملاء ؟

أوما المدير برأسه إيجابها ، للمرة الثانية ، وهو يشير بيده إلى فني العرض السونمالي ، قائلاً :

- بالتأكيد .

أظلمت القاعة تامة ، وسقط ضوء آلة العرض على الشاشة ، لينقل صورة رجل أشقر ، أزرق العينين ، في أوائل الأربعينات من عمره ، يلهمك في رى عدة أحواض من الزهور ، في حديقة فيلا أنيقة ، وقال المدير :

- هذا هو عميلنا في ال (سى . آى . إيه) .. إنه أمريكي المظهر كما تلاحظان ، ولكنه مصري صميم ، من قمة رأسه ، وحتى أعين أعمافه ، ولقد قضى نصف عمره في الولايات المتحدة الأمريكية ، حاملاً اسم (هارولد دين) ، ومتعاملاً كأى أمريكي خالص ، حتى أمكنه أن يتخرط في المخابرات المركزية الأمريكية ، منذ خمسة أعوام ، بعد جهد رهيب ، منه ومن قسم زرع العملاء ، وأصبح أهم رجائنا في الولايات المتحدة الأمريكية على الإطلاق ..

صمت ليلتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف في ضيق واضح :

- حتى أسبوع مضى ..

سأفته (منى) في قلق :

- وماذا حدث في هذا الأسبوع ؟

مطأ شفتيه في أسف ، وقال :

- يبدو أنه قد ارتكب خطأ ما ، في مرحلة سابقة ، أثار شكوكهم بشأنه ، ونفخهم إلى مراقبته وتتبعه ، حتى ألغوا القبض عليه متلبساً بنقل بعض معلوماتهم إلى أحد رجائنا في (نيويورك) ، وحاول رجائنا الهرب ، ولكنه لقي مصرعه ، برصاصات رجال المخابرات الأمريكية ، وبلى (هارولد) في أيديهم .

هتف (حسام) :

- يا إلهي .. هذا سيثير حتماً أزمة دبلوماسية عنيفة .

هز المدير رأسه ، وتهدأ قائلاً :

- لا .. ليس بعد لحسن الحظ .. صحيح أننا فقدنا أحد رجائنا ،

في هذه العملية ، ولكننا كنا قد احتطنا للأمر ، فلم يكن يعمل - عند مصرعه - أى شيء يمكن أن يشير إلى التماسه .. ثيابه كانت أمريكية الصنع ، وسيارته مستأجرة باسم إيطالى ، وحجراته بالطنق تحمل اسماً فرنسياً .. وحتى ملامحه لم تكن شرقية مثالية .. ولكن المشكلة هي أنهم قد اعتقلوا (هارولد) ، وميحاولون حتماً معرفة هويته ، وكل ما يطمه هنا ، وعن وسائل الذرع ، والتشريعات اللازمة .. باختصار ، سيحاولون معرفة كل ما يتعلق بوسائلنا ، كما كنا منتفعين ، لو حدث العكس .

سأفته (منى) :

.. ألا توجد خطة بديلة ؟

أجابها المدير :

.. بالتأكيد .. التدريبات التي تلقاها (هارولد) ، تحتم عليه أن يبذل قصارى جهده لاحتمال وسلك الأمرين في الاستجواب . حتى تضيق قدرته على الاحتمال . وهنا يعلن أنه إسرائيلى الجنسية . مع قصة أخرى محكمة ومتقنة . يمكنها إقناعهم أنه كذلك بالفعل .

سأله (حسام) فى حذر :

.. أتظن هذا يلزمهم ؟

هل المدير كتفيه ، قائلا :

.. ليس طويلا .. ولكنه سيضيع بعض الوقت على الأكل ، حتى

نلجج فى استعادة رجلا .

قال (حسام) فى حزم :

.. أو لعله .

أدارت (منى) رأسها إليه فى حركة حادة . والاستتكار بملاكل

خلجة من خلجاتها ، فالتفتى حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

.. إتينا لن نتركه لينقل إليهم أسرارنا .. أتيس كذلك ؟

قالت فى حدة :

.. لو كان (آدم) فى مكانك ..

قاطعها المدير فى لهجة قاسية :

.. أخشى أن (حسام) على حق هذه المرة يا (منى) .

و (هارولد) نفسه يعلم هذا ، والتدريبات التي تلقاها تجعله يتقبل

الأمر كحل حتمى .

قالت فى الفعل :

.. لو فشلنا فى استعادته .

أطلق المدير من أعماق صدره زفرة حارة ، وقال :

.. أعتقد أن تتجهوا فى هذا ، فالأمر ليس هينا ، إذ أنه لا يقتصر

على أن (هارولد) بين يدي واحد من أقوى أجهزة المخابرات فى

العالم فحسب . بل يمتد أيضا إلى أننا لجهل تماما أين يحتفظون به .

رفع (حسام) حاجبيه فى دهشة ، ثم عاد يخفضهما ، وهو يقول

فى سرية :

.. بأنها من مهمة .

هل المدير رأسه مريذا ، وأشار مرة أخرى إلى الشاشة ، وهو

يقول :

.. ولكن لدينا بعض المطومات ، التي قد تليدكم فى هذا الشأن ،

فهذا الذى نرونه على الشاشة الآن ، هو (جيمس فوستر) ،

المعروف باسم (ثعلب المخابرات الأمريكية) ، وهو المسئول عن

هذه العملية ، حسبا بلغنا ، وعن طريقه ، يمكنكم التوصل إلى

(هارولد) .

تطلع (حسام) و (منى) فى اهتمام إلى صورة الرجل الأثوب ،

العثم البهتان ، الحاد النظرات ، الذى يبدو على الشاشة ،

مستغرفا فى صيد الأسماك ، عند شاطئ إحدى البحيرات ، وعظم

(حسام) :

.. من ذا الذى يجهل (جيمس فوستر) ؟

انتهى العرض ، وأهدت الأضواء إلى القاعة ، فنهض المدير ،

قائلا :

- كما قلت من قبل : مهمتكما هي أصعب ما واجه الإدارة، منذ زمن طويل، ولقد قرر خيرلونا أن (هارولد) يمكنه الاحتمال لأسبوع كامل، ثم يلقي قصته الزائلة، التي يحتاج رجال الـ (سى. آى. آيه) إلى أسبوع آخر لتفنيدها، والتيقن من صحتها أو كذبها، وهذا يعني أن أمامكما أسبوعين لحسم، لحسم المهمة، دون خطة موضوعة مسبقاً وبكامل الحرية في التصرف والأداء . وصمت لحظة، وهو ينقل بصره بينهما، قبل أن يتابع :

- إنها مهمتكما .. فلا تخذلانا .

قال (حسام) في حزم :

- لن نخذلك يا سيدي .

وأضافت (منى) :

- يائن الله .

وكانت البداية .

★ ★ ★



تطلع (حسام) و(منى) في اهتمام إلى صورة الرجل الأنيب،
الحسين البنيان، الحاد النظرات، الذي يبدو على الشاشة ..

٣- الصراع ..

انطلقت عصا (جيمس فوستر) في دقة ، لتضرب بحدة (الجوالم) الصغيرة ، وتدفعها في الهواء على شكل قوس طويل ، لتستقر إلى جوار حفرة صغيرة ، على بعد أربعين متراً تقريباً ، ترتفع منها راية صغيرة ، لتحديد موقعها ، وتطلع (فوستر) بمنظاره المكبب إلى موضع القرة ، فهل أن يخط شقيقه ، متمتماً :
- لا بأس ،

ابتسم الرجل الوالف إلى جواره ، وقال :
- إلتى أراها ضربة رائعة .

هز (فوستر) كتفيه ، وقال :

- ولكنها لم تستقر في الحفرة نفسها .
فهذه الرجل ضاحكاً ، وقال :

- هكذا أنت دائماً يا (فوستر) .. لا ترضى إلا بالفوز المطلق .

رمقه (فوستر) بواحدة من نظراته العادة ، وهو يقول ،

- هذا ما ينبغي أن يطمح إليه كل رجل ناجح .

رُبت الرجل على كتفه ، وقال :

- وينبغي له أيضاً أن يقبل ما يصل إليه ، لو لم يتح له الفوز

التمام .

هز (فوستر) كتفيه مرة أخرى ، وقال :

- هذا رأيي .

كان الرجل يرغب في مواصلة الحوار مع (فوستر) ، لولا أن ظهر أحد رجال هذا الأخير ، بمنظاره الداكن ، وجسده الضخم ، وهو يتجه إليهما في خطوات واسعة ، فقال الرجل ، وهو يجمع أنواته ، قائلاً :

- فلنكن .. سنناقش هذا فيما بعد يا (فوستر) ، لقد حضر أحد

شياطينك ، ومن الواضح أنكما تحتلجان إلى شيء من الصرية .

لم يبال (فوستر) في هذا الأمر ، وبين رمقه بنظرة أخرى من

نظراته العادة ، حتى انتهى من جمع أنواته والصرف ، فالتفت

- عنبلاً - إلى الرجل الضخم ، وسأله :

- ما الأخبار ؟

تحنج الرجل ، وأجاب :

- لم يعترف بعد .

تلقى حاجباً (فوستر) في ضيق ، وهو يقول :

- لولا أنني تربتكم بنفسي ، لقلت إنكم أخفى رجال الجهال .

تحنج الرجل مرة أخرى ، وقال :

- لقد كان واحداً منا يا فوستر (فوستر) ، وتلقى نفس

ترويهاتنا . و ...

قامعه (فوستر) في حدة :

- ولو .. إنه بشرى على الأقل ، وما من بشرى يمكنه احتمال

وسائلتنا في الاستهواب ، وأنت تعلم هذا جيداً .

قال الرجل :

- نعم . أعلم ، وأعلم أيضاً أنه من المعتمد ألا تترك وسائلتنا

هذه لية آثار واضعة على جسم من نستجوبه ، وإلا فلن يرحمنا

رجال القضاء حينذاك ، ولا رجال الد (إف . بي . أي) (٤) . فمن المفروض أن يتولوا هم قضايا الجاسوسية الداخلية ، إذ لم يزلوا الكونجرس الأخير ، بمعنا من العمل داخل البلاد .

قال (فومستر) في صرامة .

— أعلم هذا .

رفع مضرب الجولف ، وأخذ يتلوح به لحظات في صمت ، قبل أن يسأل الرجل :

— هل نقلتم الرجل إلى المنزل الثاني ؟

أوما الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. إتينا لننقله إلى منزل آمن جديد .. كل ثلاثة أيام ،

بحسب أوامرك ، وإن ..

بئر عبارته دفعة واحدة ، قسامته (فومستر) .

— وإن ماذا ؟

تردد الرجل لحظة ، ثم هل كتفيه ، وقال :

— وإن كنت أجد هذا نوعاً من المبالغة في الحذر ، قد (هارولد)

نفسه لم يكن يعلم أماكن هذه المنازل الآمنة ، ولا .

قاطعه (فومستر) في غضب :

— أهذا ما عظيمكم إياه ؟ لا يا (داني) في عالمنا ، المبالغة

في الحذر أفضل ألف مرة من التهاون ، والشكوك أكثر فائدة من الثقة .

وعاد يتلوح بعصاه ، مستطرداً :

— هذا الرجل ينتمي إلى جهاز مخابرات آخر يا (داني) ،

وسيحاول — حتى الرمي الأخير — إخفاء اسم هذا الجهاز ، ويحضرها

(*) المباحث الفيدرالية الأمريكية

ميصرد على مصامعنا قصة كاذبة ، حول التماسه إلى جهاز مخابرات آخر على الأرجح ، في محاولة لكسب بعض الوقت ، ومن المحتمل أن جهاز المخابرات ، الذي ينتمي إليه هذا اللوغد ، سيبدأ العمل جهده لاستعلائه ، وإقلاذه من بين أيدينا ، لو قلته لو القضي الأمر ، ومن الضروري أن نجعل مهمتهم هذه وعرة ، شديدة الصعوبة ، ولن لنجح في اقتناصهم ، قبل أن يبالغوا غايتهم

ابتمسم (داني) ، وقال :

— هذا لن يتلنى بالمبالغة في إجراءات الأمن .

شرد بصر (فومستر) لحظات ، وهو يقول :

— إن لدى الفكري في هذا الشأن يا (داني) .

ولرسمت على ركن شظيته لبتسامة باهنة ، قبل أن يستطرد :

— دعني أنا أدير اللعبة بأسلوبى ، وسترى أننا سنربحها

يا (داني) .. سنربحها تماماً .

« لقد عاد (فومستر) إلى منزله .. »

قلتها (حصام) في اهتمام شديد ، وهو يضع منظاره المقرب

على عينيه ، داخل تلك المنزل ، الذى استأجره ، في مواجهة

منزل (فومستر) تماماً ، فاعتكلت (على) تسالته في هذه

— وهل يقيمت هذا ؟

رفع منظاره عن عينيه ، والتفت إليها ، قائلاً في برود :

— هل مقترحين وسيلة أخرى ؟ .. إتينا نجهل كل شيء عن

المكان ، الذى يحتفظون فيه بـ (هارولد) ، والشئ الوحيد الذى

لحرقه من القضية كلها ، هو أن (جيمس فوستر) هو المسئول
عن هذه العملية ، ولا توجد وسيلة لمن ، سوى مرافقة (فوستر)
الذين هذا الليل والنهار ، حتى يمكننا التوصل إلى (هارولد) ، (لا إذا
كان لديك الاقتراح آخر .

قالت بنفس الهموم :

.. المرافقة وحدها لا تكفي .. إلنا نحتاج إلى إحصاء أنفاسه ، لو
القضي الأمر ، فلقد لا يذهب أبداً إلى حيث يحتفلون بـ (هارولد) ،
بل يكتفى بإتقاء أو امرء إلى رجاله فحسب .

سألها في عصبية :

.. وماذا تفعل في هذه الحالة ، أيتها العبقريّة ؟

قالت في حماس :

.. نسلّل إلى منزله .. إلى نادي (الجولف) الذي يشترك
فيه .. نزرع أجهزة تصنت في هاتفه ، ومسيرته ، وكل ركن من
منزله ، وحتى في عليه أبواب الجولف .. المهم أن نطرق على
(هارولد) قبل مضي الفترة المشدودة ..

هتف في حدة :

.. أعلمين أي أمر هذا ، الذي تطالبينني به ؟ .. إنك تطالبين مني
.. ويكل بمسألة - اقتحام منزل (جيمس إوارد فوستر) لقلب مدير
جهاز المخابرات المركزية الأمريكية ، ونزرع أجهزة تصنت في
كل ركن فيه ، كما لو كن حقلًا خالياً ، نزرع فيه بعض شتلات
البرنقال .. لا أيتها الزميلة العزيزة - إنك في الواقع تطالبين
المستحيل .

ابتسمت في هيث ، وهي تقول :

.. وماذا في هذا .. ألمت تمعني للحصول على القلب ؟

سألها في توتر :

.. أي قلب ؟

أجابته :

.. رجل المستحيل .

شعرت وهي تنطقها أنها ترتكب جرماً في حق (أدهم
صبري) .. الرجل الوحيد الذي حمل يوماً هذا القلب ، ولكنها ،
وعلى الرغم من رغبتها الشديدة في نجاح المهمة ، كانت تشعر
بشيء من السعادة ، لأن أحداً لا يمكنه بلوغ مظنة (أدهم
صبري) ..

ولكن (حسام) شعر بالتهدي ..

ومع التفاء حنجرية ، تطفرت في أعماقه روح الصراع
والتهدي والعداء ، فاعتدل قائلاً :

.. صدقت . لا بد من العمل ، للحصول على ما يبتغيه المرم .
ولأراح منظره المقرب جانباً ، وهو يضيف :
.. الليلة سننقل الصراع إلى منطقة التهدي .
وانتصبت قائمته في اعتداد ، وهو يضيف :
.. والخطر ..

شيك مدير المخابرات المصرية أصبح كفيه أمام وجهه ،
والتقى حاجباه في تفكير صامت عميق ، ورسم القلق خطوطه
الواضحة على ملامحه ، مما حدا بمساعدته إلى أن يسأله :
.. أهنك ما يستحق كل هذا ؟

قلت إني المدير في شروء لحظي ، ثم لم يلبث أن تلاشى ،
وهو يقول :

- نعم .. أعتقد هذا .

سأله مساعده في اهتمام -

- وما هذا الشيء ؟

هز المدير رأسه لحظات ، قبل أن يقول :

- قضية (هارولد دين) .. أعتقد أن (حسام) و(مسي)

يمكنهما النجاح ، في مثل هذه المهمة ؟

أجابته المساعده :

- ولم لا ؟ .. صحيح أنها ليست مهمة سهلة ، ولكن (حسام)

هذا أثبت تفوقاً ملحوظاً في تدريباته كلها ، ثم أنه ذاهية حقيقي .

وأراهن أنه يستطيع مواجهة كل رجال المخابرات الأمريكية .

مط المدير شفتيه ، وقال :

- لا داعي للمبالغة .

قال المساعده في حماس :

- ولماذا تعتبرها مبالغة ياسيدى ؟ .. ألم تحقق انتصارات

أعظم فيما مضى ؟

أوما المدير برأسه إيجاباً ، وقال :

- كان هذا فيما مضى .

بدأ الضيق على وجه المساعده ، وهو يقول :

- تقصد في الأيام الذهبية لـ (أدهم صبرى) - أليس كذلك ؟

هز المدير كتفيه ، قائلاً :

- ربما .

لوح مساعده بكتفه ، وقال :

- أعلم أنك لم تقم بعد تلك الرجل ياسيدى ، وأنت تشعر بعد

رحيله بخواء كبير ، في قسم الأعمال الخارجية والمهمات

الصعبة ، ولكنها حتمية الكون ياسيدى .. لكل شيء نهاية ،

و (أدهم صبرى) هذا مجرد بشر ، ومصير البشر كلهم الفناء ،

والحكمة القديمة تقول : « لا يوجد من لا يمكن الاستغناء عنه »

كما أن القبور مليئة بأولئك ، الذين ظنوا أن الحياة لن تسير بدونهم

.. كلهم فترا ، وانتهوا ، وواصلت الحياة طريقها ، ...

فأطعمه المدير بشارة من يده ، وهو يقول :

- حسناً . لا داعي لهذه المحاضرة الطويلة .. أعلم أن (أدهم

صبرى) قد انتهى ، وأن (حسام حمدي) هو رجلنا الجديد ، للمهام

الصعبة والمستحيلة ، ولكن من الطبيعي أن أشعر بالقلق ، وهو

يلحوض أولى عملياته الصعبة ، فعلى الرغم من تفوقه الكبير في

كل الاختبارات والتدريبات ، فالتعامل الفعلي يختلف كثيراً ، إذ أنه

يحتاج إلى مزيج من الحكمة والخبرة والتفوق .

قال مساعده في حزم

- مسترئ أن (حسام) سيحقق نجاحاً مدعشاً ، في المهمة .

صمت المدير لحظات ، ثم قال في خطوات :

- هذا ما أتمناه .

وصمت لحظة أخرى ، ثم استطرد :

- أعلم .. لو حقق (حسام) ، في مهمته هذه ، ذلك النجاح

الذي نرجوه ، فلن أتردد في أن أمتحه بنفسى لقب (أدهم صبرى)

التمانيق .

وامتلاً صوته بالحزم ، وهو يضيف :

- لقب (رجل المستحيل) .

٤ - القنبلة ..

كانت عتارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل .
عندما أوقلت (ملى) سيارتها الرياضية الأنيقة . أمام منزل
(جيمس فومستر) مباشرة ، وهي تضع على رأسها شعراً أشقر
مستعاراً ، وعلى عينيها عكسيتين زرقاوين ، وتبالغ في وضع
معاويل وجهها ، مع ثوب زاهى الألوان ، وغادرت السيارة
متجهة إلى المنزل ، وهي تلقى نظرة فائلة على حارسه ، قلذين
استنبت أيديهما إلى ستراتهما المنظفة ، تحظا لأى طاروا ..

وهي تنوء عتير ، قالت (ملى) بالأمريكية . وهي تظلم على
حروفها لكفة ذات نهايات مبطونة متعمدة :

- أريد مقابلة مستر (فومستر) .

سألها أحد الحارمين فى خشونة :

- أهذاك موعد منى ؟

هزت رأسها نفياً ، وقالت :

- لا .. لم أطلب تحديد موعد لمقابلة ، ولكننى أعتقد أن مستر

(فومستر) سيوافق على مقابلتى .

ابتسم الحارم الثالث فى سخرية ، وهو يقول :

- ومن أعتقد بهذه الفكرة القوية .

رملته بنظرة ساخرة بدورها ، وهي تقول :

- (هارولد) .. (هارولد دين) .

التقى حاجبا الحارمين ، وتبادلا نظرة خاصة ، ثم سألها الأول
بنفس الخشونة .

- من قلت ؟

قالت فى صرامة :

- أظهر مستر (فومستر) الذى أرغب فى مقابلته ، بشأن
(هارولد دين) .

رملها الرجل لحظات بنظرة حادة ، ثم النطق جهاز اللامسكى
الخاص به ، وقال دون أن يرفع صوته عنها :

- هناك امرأة تطلب مقابلة مستر (فومستر) . وتقول : إن هذا
بشأن (هارولد) .

قالت فى برود :

- قل : سيده أيتها الوفج ، ولانظر : إمراة .

عاد يرمكها بنظراته الحادة ، وهو يلمس جهاز اللامسكى
بأذنه ، ليستمع إلى الجواب . ثم لم يلبث أن قال :

- سيستقبلك مستر (فومستر) على الفور .

ابتسمت فى سخرية ، قللة :

- ألم أقل لك ؟

التقد حاجبا فى صرامة ، وهو يقول :

- سيتم تفتيشك أولاً .

تراجعت فائلة فى حزم :

- إن أسمح لأحدكم بلمسى .

ابتسم سائخراً ، وهو يقول :

- أظمتنى .. لن يلمسك أحد .

وفتح باب المنزل ، ودعاها للدخول ، ولم تكد تعبر الباب ،
حتى ارتفع أزيز متصل ، فتوقفت لحظة ، ثم علوت السور .
وهي تقول :

- إنه جهاز كشف أسلحة ، أليس كذلك ؟
جميعهم :

- نعم .. وهو ليس وسيلة الفحص الوحيدة ، فمعظم الأسلحة
تصنع من البلاستيك والالياف الزجاجية الآن ، في (تايجان)
(سنغافورة) ، و (هونج كونج) ، وأصبح من السهل خداع
جهاز كشف الكذب (*) .
سألته سائراً :

- وما الأشياء الأخرى التي منبهرها ؟
أجابها وكأنه يتبهي بقوته :

- الكثير . هناك جهاز لأشعة (رونجن) (**) وجهاز
لكشف أجهزة التصلت ، وغيرها ..
تمتعت :

- عظيم . هل يشعر رئيسك بكل هذا الخوف ، طيلة الوقت ؟
رماها بمنظرة تارية ، دون أن يجيب ، وظل على صمته هذا ،
وهما يعبران العمر الطويل ، وأزيز الأجهزة المختلفة ينطلق ، من
لحظة إلى أخرى ، حتى بلغا باب كبيراً ، دفعه الرجل ، قائلاً :

(*) حيلة

(**) أشعة (رونجن) هي الأشعة المعروفة باسم أشعة (X) ، أو الأشعة
المسيبة ، واسم أشعة (رونجن) ينسبها إلى مخترعها

- ادخلي .

- عبرت (منى) الباب لتجد أمامها (فوستر) مباشرة ، يقف
لدخل مكتبة ضخمة ، تكتظ بالآلاف الكتب والمراجع ، ويرملها
بواحدة من نظراته الحادة ، قائلاً :

- مساء الخير يا سيدي . أم هل أقول صباح الخير ؟ إلها
لواحدة صباحاً تقريباً .. أليس كذلك ؟
هزت كتفها ، قائلة :

- لمست أذني ، فلا أميل إلى ارتداء ساعات اليد .
قال في برود :

- عجباً .. هذا يتعارض تماماً مع نظم العمل في المخابرات .
أطلقت ضحكة قصيرة ، قائلة :

- حقاً ؟

ثم جالت ببصرها في المكان ، مستغرقة :

- ألا يوجد مقعد واحد ، يصح للجلوس ؟
أجاب وهو يفحصها بنظرته الحادة :

- أنتظنين أن حديثنا سيحتاج إلى كل هذا الوقت ؟
هزت كتفها دون أن تجيب ، فسألها :

- ما علاقتك بـ (هارولد دين) ؟

قالت على الفور :

- كم تطيب أنت ثمناً له ؟

ارتفع حاجباه في دهشة ، وهو يقول :

- ثمناً له ؟ .. أي قول هذا يا سيدي .. أأترقب حقاً طبيعة

الموقف ؟

أومات برأسها إيجاباً ، وقالت .
 - بالطبع ، وأدرك أن هذا يتعرض تماماً مع طبيعة عملنا ،
 ولكن ..
 فاطمها في حزم :
 - إلى أية دولة تلتصين ؟
 فهللت ضاحكة ، وهي تقول :
 - بأنه من مؤال .. أتتوابع الحصول على الجواب في سهونة ؟
 قال في صرامة :
 - يمكنني الحصول عليه بوسائل أكثر صعوبة لك .
 فهللت ضاحكة مرة أخرى ، وقالت :
 - لا تحاول إغالي في إرضائي يا مستر (فومستر) ، فمن المؤكد
 أنني لم أحضر لمقابلتك ، دون تأمين موقفي .. أليس كذلك ؟
 قال في حدة :
 - وماذا يمكنك أن تفعلني ، لو أنفقت الفخض عليك الآن ؟
 هزت كتفها مرة أخرى ، وقالت :
 - بالنسبة لي لن أفعل شيئاً ، ولكن رفاقي سيفعلون .
 قال في غرر :
 - بلعلون ماذا ؟
 سأفنته .
 - قل لي أولاً : كم المصاغة بالضبط ؟
 ألقى نظرة سريعة على ساعته يده ، وقال :
 - الواحدة وتسع دقائق ، إلا بضع ثوان .
 جعلت :

- عظيم . بعد دقيقة واحدة ، ويضع ثوان ، سينطهر الجناح
 الخلفي لمنزلك .
 تراجع هاتفاً :
 - ماذا ؟
 قالت بابتسامة والقة :
 - انتظر .. ومثري .
 انعدا حاجباه في حدة ، وهو يتطلع إلى ساعته ، ثم اندفع إلى
 باب المكتبة ، وهتف بأحد رجاله :
 - (نوم) .. قل على باب الحجرة ، ولا تسمح لتلك السيدة
 بالخروج .
 واندفع خارج المكان ، تاركاً (منى) وحدها ، وأطلق الباب
 خلفه في إحكام ..
 وهنا ألقت (منى) نظرة سريعة على باب الحجرة ، ذلك الذي
 يقود إلى خارج المنزل ، والآخر الذي يقود إلى داخله ، ثم أسرع
 إلى الشاذة ، وافتحتها على مصراعها وضغطت :
 - أتحشم أن يكون تصويبك دقيقاً يا (حسام) ، مثل ..
 بترت قولها ، وارتسمت في ذهنها صورة (أدم) لحظة ، قبل
 أن تهز رأسها في قوة ، القلة :
 - لا .. ينبغي أن يحصل (حسام) على فرصة كاملة .
 مضت للحظات بالنسبة إليها أشبه بالدهر ، وأصوات تلك
 الاضطراب ، الذي أصاب المنزل ، ليبلغ مسامعها ، وبدا لها من
 الواضح أن (فومستر) ورجاله يحاربون إخلاء الجناح الخلفي من
 الرجال ، ومن الأشياء الهامة ، قبل حدوث الانفجار ، و ..

ودوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، دوى بارجاج خفيف ، هلتفت معه (منى) .
- الآن .

وفى نفس اللحظة رأت ما كانت تتظلم
سهم عادى ، يشق الهواء ، فى اتجاه المائدة
ثم يحرقها ..

وعند قدميه ، ارتطم السهم بالأرض وانكسر الى نصفين ،
وسقط منه كمين صغير ، اسرعت (منى) لتلقطه ، وهى تهتف فى
هزلة

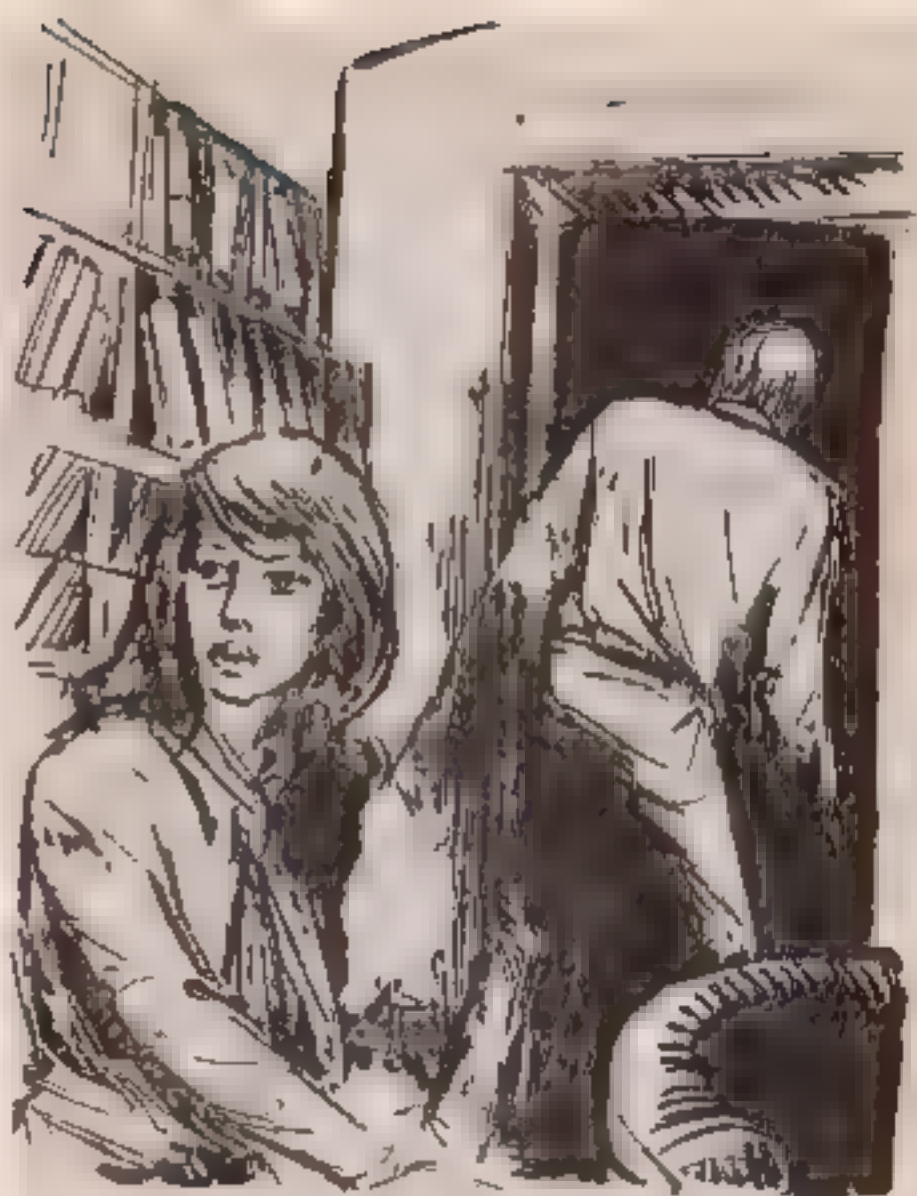
- رابع يا (حسام) .. رابع .

فتعب الكمين فى سرعة ، والتفت من داخله جهارى تبصت
صغيرين ، اسرعت تدس أحدهما فى المكتبة ، والآخر عند
العائط المتصل بالمنزل من الداخل ثم عادت لتلقى الدفعة ،
وحطبت السهم إلى شظايا صغيرة ، ألقتها فى حطبة يده
الصغيرة ، وطوت الكمين الى جوارها ، وأغلقت حقيبته ، فى
نفس اللحظة شى يدفع فيها (فوستر) باب الحجرة ، وقال فى
هدة :

- اى عبت هذا ؟

كانت تشعر بنور شديد ولكنها أرغمت نفسها على
الابتسام ، وهى تقول

- ألتصد ان القنبلة لم تنفجر فى الجناح الخلفى ؟ بالطبع
يا (فوستر) لقد انظرت على بعد ايام منه اليس
كذلك ؟ لقد قصت هذا يا (فوستر) ، لم أحسن لابرغ فى
مقاصبك هذه ، بل نحاول سببها فى اننا لسنا بالمتدربين أو
الهيئتين وأن المفاوضات معها خير من قتال



واندفع حارج المكاتب ، ماركا منى ، وحدها ، وخلق ارباب عطفه فى

رمحها بنقطة حادة طويلة صامدة ، ثم قال :

- ومن فقم بالضبط ؟

اعتكلت قائلة :

- مستعلم فيما بعد .

ثم استدارت مستطردة :

- أما الآن ، أفسألتصرف .. و..

لفز نحوها ، وأمسك يدها في قوة ، هاتفا

- مهلا .. الانصراف من هنا ليس هينا كما تظنون .

قالت في صرامة :

- وماذا ستفعل ؟ هل تعقلني أم تقتلني ؟

صمت متطلعا اليها ، فاصافت .

- ولتعلم أنني أحمل جوائز سفر دبلوماسية ، ولقد تم التفاوض قبل

كامل لي ، وأنا أبطل إلى منزلك ، ولست أظنك ترفض في بعض

المشاكل الدبلوماسية يا ماستر (فوستر) .. أليس كذلك ؟

بدا الغضب على وجهه ، واصابعه تنفر من في ذراعها بقوة ،

ثم لم يلبث أن ألقاها ، قائلا في حدة :

- فليكن .. يمكنك الانصراف ، ولكن حذار .. لأن تعدي هذه

اللمحة شهرا واحدا للاختلاء ببلدك ، في الولايات المتحدة

الأمريكية كلها .

قالت في صرامة :

- حذار أنت من أن تدفع رجالك لمرأيتي ، وإلا .

قاطعها في غضب :

- وإلا ماذا ؟

انهمكت في سخرية ، وقالت .

- مستعلم فيما بعد .

تطلع اليها في صمت حاد ، ثم ضغط رزا صغيرا خلفا ، فظهر

الرجل الذي فاد (عني) إلى الداخل ، وقال له (فوستر) .

- اصحب السيدة إلى الخارج ، ودعها تتصرف دون

مشاكل .. هل تفهم ؟

لوما الرجل برأسه إيجابا ، وقال

- أفهم يا سيدي .

لوحث (عني) بكلفها له (فوستر) ، قائلة -

- سنلتقي فيما بعد يا عزيزي (فوستر) .

تركها (فوستر) تتصرف ، ثم التحق حاجباه في شدة ، وأدبر

عديه في المكتبة ، قبل أن يغتم :

- لا يمكنك خداعي أبدا أيتها المرأة لقد أثبت إلى هنا لعمل

ما ، وساعطت حتما ما هو .. لا يمكنك خداع (جيمس فوستر)

أبدا .. أبدا .

واقتمعت عيناه ببريق حاد مخيف .

بريق يحمل لون الخطر ..

ورائحة قدم .

٥- خدعة ..

سيد الهدوء انقام ملاعب للجولف ، في الثالثة صباحاً ، وكان من العسير أن يلتفت مخلوق واحد إلى ذلك الشاب ، الذي عبر سور الملاعب في مروية ، وانطلق يحدو فوق الحشايش القصيرة في خفة ، مقترفاً من المبني الرئيسي ، في ركن المساحة الضيقة الضاسعة ، حتى بلغ باب المبني ، فأنحنى بعالج رتاجه في مهارة بحسد عليها ، حتى استجاب له الرتاج ، وانزل بصوت مكتوم ، فدفع الشاب الباب ، ودلف إلى المبني في حركة سريعة ، ثم أغلق الباب خلفه ، والتصلق بالحائط في صمت ، وهو يرفع سمعه جيداً ..

كانت خطوات حارس المكان تبدو واضحة ، وهو يسير في الممشى المجاور جبهة وذهايا ، ثم يلتح بعض الحجرات لتلقدها . قبل أن يعاود سيره ..

وكان من الواضح أنه حارس نشط ، إذ أنه لم يتوقف عن الحركة طيلة نصف ساعة كاملة ، فصاها الشاب منتصفاً بالحائط .. مستتراً بظلام الركن الذي يختبئ فيه ، حتى تمت في ضيق .

يبدو أنه لا مفر من الحركة

غابر موقعه في خفة ، مستغلاً ابتعاد الحارس ، وعبر المعبر الطويل في سرعة ، حتى بلغ حجرة محدودة مسبقاً ، فدفع بابها .

ودخلها في مرعة ، ثم أغلق الباب خلفه في حذر ، وأخرج مصباحاً يدوياً ، صوبه إلى للحجرة التي تحوى عدة دواليب خشبية ، ذات واجهات زجاجية ، اصطفت ودخلها حكايب أدوات الجولف ، وكل منها تحمل اسم صاحبها ، وراح الشاب يقرأ الاسماء المنقولة على الحكايب ، حتى بلغ تلك الحقيبة ، التي تحمل اسم (جيمس فوستر) ، فابتسم في ارتياح ، متمتماً :
- ها هو ذا الهدف

أمسك المصباح بأستاته ، وهو يعالج كل الدواليب ، حتى فتحه ، مستخدماً أداة رفيعة ، ثم فتح الدواليب ، والنظ الحقيبة ، والفرغ محتوياتها في حرص ، وانتزع فاعدها الداخلية في عناية ، وأخرج من جيبه أداة تصنت دقيقة ، شبتها في ركن للحقيبة ، ثم أعاد القاعدة الداخلية إلى موضعها ، وعاد يصف المحتويات داخل الحقيبة ، وأعادها إلى مكانها داخل الدواليب ، قبل أن يعيد إغلاقه بمنتهى الحرص ، و .

وفجأة انفتح الباب ، وارتفع صوت الحارس ، وهو يهتف في دهشة :

- ماذا تفعل هنا ؟

فالتها الحارس وهو يلتزع مستعس ، من جرابه المشبث بعزمه ، ولكن (حسام) تحرّك في سرعة وخفة ، وفلّز نحو الحارس ، ثم ركل المسمس من يده ، وهو يقول في صرامة :
- تمأللي ماذا تفعل هنا ؟

وهوى على فكه بكلمة عنيفة مستطرداً

- ياله من سؤال وفح ؟

كانت الكلمة قوية بالفعل كالقنبلة ، فاندفع الحارس إلى الخلف في عنف ، وارتطم بالحائط ، ثم ارتد إلى الأمام ، فاستقبلته قبضة (حسام) بكلمة أشد قوة ، وهو يقول :

- ثم أخبرك عن السبب بالطبع .

سقط الحارس فالد الوعي ، عند قسمي (حسام) ، الذي أراحه جانيها في هدوء ، ثم قال :

- مواجهتنا هذه تكسب هدوء النعبة بأرجل . وتضطرني إلى تبديل خطتي بعض الشيء .

ثم اتجه في هدوء إلى حجرة مدير النادي ، وألقى نظرة على الخزانة المجاورة لمكتبه . وانقسم قائلاً :

- واستقلال بعض مهارتي الأخرى .

ثم اتجه إلى الخزانة ، وسحب مقعداً ، ليجلس أمامها في هدوء . وبدأ في معالجة رتاجها الإلكتروني ..

وبلغت مهارته ..

لم تكد عتارب الساعة تشير إلى الخامسة صباحاً ، حتى دخلت (ملى) باب ذلك المنزل ، الذي استأجرته المخابرات المصرية . في مواجهة منزل (فوستر) ، وهتلت بـ (حسام) ، الذي جلس هادئاً في راحة المنزل ، بنظف مستحمه :

- هل ألقيت مهمتك بنجاح ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وسألها :

- وماذا عن مهمتك أنت ؟

ألمت جسدها على مقعد مقابل له ، وهي تهتف :

- كل شيء سار على مايرام .. وأنت كنت رائعاً . عندما صوبت السهم إلى نافذة مكتب (فوستر) ، وأطلقت به هذه المهارة .

انقسم قائلاً :

- سمعتني أن فطنت شيئاً أثار إعجابك

تأملت وكأنها لم تسمع هذا للتعلق .

- وعندما سمع لي (فوستر) بالانصراف ، أدركت أنه لي

بصمغ بخروجي دون مراقبة . على الرغم من أنه أمر رجالي بهذا ، وكنت على حق ، فالعبارة البريئة ، التي ألقاها على مصامع

خارسة أمانى ، كانت تعني بلقنهم معنى مخائفاً تماماً لمطوقها ، إذ لم أكد أطلق بالسيارة ، حتى انطلقت واحدة من سياراتهم

خلفي ، وهم يستعملون مظاهر للرؤية الليلية ، بحيث لا يحتاجون إلى إضاءة مصابيح سياراتهم ، ولكنني لمحتهم ،

وكنت واثقة من أنهم قد نسوا جهاز مراقبة في سيارتي ، في أثناء وجودي مع (فوستر) ، ولهذا فقد كنت السيارة إلى منطقة

بعيدة ، ثم تركتها في موقف عام للسيارات ، ورحلت أراوغي المطاردتين طيلة أربع ساعات ، فأدخل إلى مكان ما ، وأفر هرب

سقطه إلى آخر ، وانتقل من هيئة إلى هيئة ، حتى نجحت في تضليلهم تماماً . ووصلت إلى هنا

قال مهتسماً

- رائع

ثم التفت بلسا عميقاً ، قبل أن يضيف :

- الآن يمكننا مراقبة (جيمس فوستر) كظله . فجهازي

التصنت ، اللذين تمت زراعتهما في منزله ، من القوة بحيث يمكنهما نقل كل مهمة تدور داخل المنزل ، وكذلك الجهاز الذي

نمستته في حطبة الجوف .

سألته في اهتمام :

- هل أخفيته جيداً ؟

أجابني :

- بالمر ، ولكن الحارس فاجأني ، بعد أن انتهيت من

مهمتي ، فـ اضطررت إلى إلقاءه الوعي

هتفت في ارتياح :

- يا إلهي .. ولكن هذا يفسد اللعبة كلها

هز رأسه نظيراً ، وقال :

- ليس تماماً ، فلقد نجأت عنفذاً إلى حل بسيط ، إذ استوليت

على محتويات خزانة النادي ، بحيث يبدو الأمر كما لو أنني مجرد

أحد عادي .

قالت في قلبي :

- فلننضمهم أن يلتفتوا بهذا .

هز كتفيه ، وقال :

- ولم لا ؟ كل ما حدث ينطبق على أفعال اللصوص تماماً .

التفلي حاجبها ، وهي تقول :

- ربما يا (جيمس فوستر) بالدهشة ، وهو يهدف إلى ناديه في

مهارة ، ولكن لا تنس أننا لانواجه خصماً عادياً ، بل يواجه

الشعب نفسه ، ثعلب المخبرات .

شعر (جيمس فوستر) بالدهشة ، وهو يهدف إلى ناديه في

الصباح ، عندما رأى رجال الشرطة يملأون المكان ، وبعضهم

يفحص حجرة المدير ، والخزانة المفتوحة الخالية ، فأتجه إلى

المدير بمسأله :

- ماذا حدث يا مستر (كارل) ؟

لوح المدير بكفيه قائلاً :

- لا شيء ، يدعو للقلق يا مستر (فوستر) .. إنها حادثة سرقة

عادية ، ولكن اللص كان منسحباً ، فلم يكن بالخزانة سوى

ألف دولار قصيب .

رند (فوستر) في بطة حبيب :

- ألف دولار ؟ . وكيف ارتكب جريمة ؟

أجابته المدير :

- لقد تسلل عبر الحلاعب ، إلى المبنى الإداري ، وفتح

الخزانة في مهارة ، و...

قاطعه (فوستر) في اهتمام :

- وأين كان الحارس ؟

أجابته المدير في أسف :

- لقد فاجأ الحارس في حجرة الأنوار ، ولكن اللص

هاجمه ، وألقاه الوعي ، و...

قاطعه (فوستر) مرة أخرى :

- في حجرة الأنوار ؟ وما الذي كان يفعله اللص ، في

حجرة الأنوار ؟

هز المدير كتفيه ، قائلاً :

- ربما كان يبحث عن الخزانة ، أو ..

وللمرة الثالثة ، قاطعه (فوستر) :

- يبحث عنها ؟ هل تحاول إقناعي بأن لصاً محترفاً قد اقتحم

المكان ، لمعرفة الخزانة ، دون أن يعلم موضعها مسبقاً ؟

أجابته المعير في توتر :

- كنت أحاول إقناعك بشيء يا ماستر (فوستر) . إتنى أرجح هذا لحسب .

مط (فوستر) شفتيه ، وقال في برود :
- بالتأكيد .

ثم اتجه في خطوات واسعة إلى الهاتف ، والتقط سماعته ، وهو يستطرد لللمسة في خفوت :

- ولكن عظمى يشعر بالقلق .

ضغط أزرار الهاتف في سرعة ، والنظر حتى سمع صوت محدثه ، فقال :

- إنه أنا يا (داني) .. ريمسك (فوستر) .. اسمعني جيداً .. أريدك هنا على الفور ، في لادى (الجولف) .. هيا . بأسرع ما يمكنك .

انهى المحادثة ، دون أن ينتظر جواباً ، ثم اتجه إلى حجرة الأدوات ، وقال للعامل الكهل ، المسئول عنها :

- أين حقيبتي يا (جون) ؟

ناولته العامل الكهل الحقيبة ، وهو يقول :

- ها هي دى يا ماستر (فوستر) . إتنى أعنى بها جيداً .

التقط (فوستر) الحقيبة ، وفحصها في اهتمام ، ثم أخرج العصي كلها منها ، وأخذ يتطلع إليها في حذر ، جعل العامل يسأله قللاً .

- ماذا هناك يا ماستر (فوستر) ؟ .. هل تجد عيباً في أدواتك ؟

هو (فوستر) رأسه تفلأ ، وقال :

- لا يا (جون) .. كنت أجد بها عيباً .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

- أ قصد عيباً واضحاً .

ثم رفع رأسه إلى (جون) ، وقال :

- اسمع يا (جون) .. يبدو أتنى لن أستخدم هذه الأدوات

اليوم . أجمعها كلها ، وضعها في حقيبة ماستر (كول) ، واحضر

لي كل أدوات ماستر (كول) كما أريد كرات جديدة .

سأله العامل في دهشة :

- ولماذا كل هذا يا ماستر (فوستر) ؟

أجابته في برود :

- اعتبره نوعاً من التعمك بالظرافات يا (جون) ولكن لقد

ما أمرتك به .

اطاعه العامل الكهل في حيرة ، فأحضر حقيبة (كول) ونقل

محتوياتها إلى حقيبة (فوستر) ، ثم صلب العكس بأدوات هذا

الآخر ، وقال :

- تأمر بشيء آخر يا ماستر (فوستر) ؟

أجابته (فوستر) ، وهو يلتقط حقيبته ، التى تحوى أدوات

(كول) :

- نعم يا (جون) .. أريد منك أن تعطى حقيبة (كول) ، وبها

أدواتي ، إلى ماستر (داني) . عندما يحضر بعد قليل ، وتطلب منه

فحصها جيداً .. هل تفهم ؟

أوما الرجل برأسه أوجاباً ، وقال -

- نعم يا ماستر (فوستر) أفهم .. المهم تعاملاً

أخرج (فوستر) من جيبه ورقة وقلمًا ، ونوى بعض الكلمات في الورقة . ثم طواها وماولها له (جون) ، قائلا - اعطه هذا الأمر الكتابي ستفيد هذا وضحك مستطرباً .

- أنك تترك تعقيدات البيروقراطية . اليس كذلك ؟

ابنسم (جون) ابتسامة مرتبكة ، وهو يقول

- بلى يا ماستر (فوستر) بلى

حمل (فوستر) حقيبة أدواته في هدوء ، وانجه إلى ملعب الجولف . وراح يصرب الكرات الجديدة في دقة وهدوء منبذين ، حتى ظهر (داني) بجسده المصحوم ومنظرة الدائن ، وانجه إليه عبر الملعب ، وقال :

- صباح الخير أيها الوندسور .

قال (فوستر) ، وهو يصرب كرتيه في هدوء

- صباح الخير يا (داني) هل تسكنت الأشياء من (جون) ؟

أوم (داني) برأسه إيجاباً وقال

- نعم . تسحب كلها ، وسيم فحصها جيداً

سار (فوستر) حتى موصع الكرة الجديد ، وهو يقول

لـ (داني) ، الذي تبعه في صمت وهدوء

- عظيم . والآن أريد منك أن تذهب عني انظور إلى المنزل الآمن

رقم (ثمانية) ، ونقوم بنقل (هارولد) إلى المنزل رقم (تسعة) .

قال (داني) مختصراً

- ولكننا نلجأ إلى رقم (ثمانية) أمس فحسب

قال (فوستر) في صرامة :



اطاعه لعمال الكهول في حيرة . فاحصر حقيقه ، كرتل (وعل مخترب)

إلى حيبه (فوستر)

به لغة الأرمز .

مط (داني) شفتيه ، وقال :

- كما تأمر أيها الرئيس .

واستدار مصرفاً ، دون أن يضيف حرفاً واحداً ..

وفي نفس اللحظة ، وفي سيارة أنيقة ، نطف خارج نادي (الجولف) ، هتف (حسام) ، الذي نقل إليه جهاز التصنت ، المثبت في حقيبة (فوستر) ، كل حرف تبادلته هذا الأخير مع (داني) :

- لاحظت خطتنا أيتها الرائد - سيذهب (داني) الآن إلى حيث يحتفلون به (هارولد) .

سألته (مئي) في الفعل :

- اتقنا استطيع تتبعه ، دون أن ينتبه إلى وجودنا ؟

أجابها في حزم ، وهو يلتقط حقيبته الصغيرة :

- بالتأكيد .

فالت محيرة :

- لا أتمنى أنه محترف ، وسيكشف أمرنا في سهولة .

قال مبتهماً :

- أعلم هذا .

والتلفظ من حقيبته جهاز مراقبة صغير ، في حجم زر قميص

عادي ، وهو يقول :

- سنترك لصديقنا الصغير هذا المهمة كلها .

قالها وخاطر السيارة في خلة ، واتجه إلى حيث سيارة (داني) وهناك أسقط منديلته ، في حركة بدت طبيعية للغاية ، وانحنى

لبنافطه ، واستند مع تلك الاحتذاءة على حقيبة سيارة (داني) ، على نحو بدا أكثر طبيعية ..

وفي مهارة ، ألصق (حسام) جهاز المراقبة النظيف ، في جزء خفي من الحقيبة ، ثم اعتدل ، وواصل طريقة في هدوء .

وفي أعماقها ، اعترفت (مئي) بمهارته ..

كان مخلصاً في عمله بالفعل ، ونكباً وجريئاً في أدائه .

وهذا هو المطلوب ..

وعندما عاد إلى السيارة ، قالت في إخلاص :

- لمست .

اهتمم قائلاً :

- أشكرك .

وانتظر في صمت - حتى ظهر (داني) ، وهو يحمل حقيبة

(كول) ، وأنوات (فوستر) ، واتجه إلى سيارته ، فألقى الحقيبة

داخلها ، ثم جلس خلف عجلة السيارة ، وانطلق بها على الفور ..

وفي هدوء شديد ، أخرج (حسام) من حقيبته جهازاً صغيراً ،

ظهرت فوقه نقطة مضئة حمراء ، وقال

- ها هوذا صديقنا (داني) .. بهذا الجهاز الصغير يمكننا

تتبعه ، حتى نبلغ موضع صديقنا (هارولد) .

وأدار محرك سيارته بدوره ، وانطلق بها في هدوء ، وهو

يتتبع مسار تلك النقطة الحمراء المضئة ، على شاشة جهازه ،

والتي تحدد موقع ومسار سيارة (داني) ..

وانطلق (داني) خارج المدينة .

خارج (نيويورك) كلها .

ثم التحرف عند ملاحظة ريقه شامسة ، على مشارف المدينة ،
وعبرها إلى دغل قريب ، حتى توقف داخل الدغل عند كوخ خشبي
صغير ، وغادر سيارته ، وصطف نظيره ثلاث مرات متباعدة ،
فخرج من الكوخ رجل ضخم آخر ، يحمل مدقعا آليا ، نوح بكفه
لـ (داني) ، قائلا -

- مرحبا يا صديقي . هل من أوامر جديدة ؟

أجابه (داني) بصوت مرتفع :

- نعم . منتقل الجاسوس إلى منزل آخر

وعلى بعد عدة أمتار ، وسط الدغل الكثيف ، خفض (حمام)

منظاره المقرب عن عينيه ، وقال في نظر

- ها هوذا الهدف .

ولكن (مكي) لم تشاركه هذا الإحساس بالنظر ، بل كانت تشعر

بالقلق ..

القلق بلا حدود .



٦ - هارولد ..

اجتاز (فوستر) باب مكتبه في خطوات سريعة عليفة كعائته ،
وسأل أحد رجاله في اهتمام بالغ ، وهو يجلس خلف المكتب :

- هل اتصل (داني) ؟

أجابه الرجل . وهو يمسك سماعة الهاتف

- إنه على الهاتف ، ويقول إنه بلغ المنزل رقم (ثمانية) ،

ويسأل : هل يوصي في الخطة حتى النهاية ؟

قال (فوستر) في اهتمام :

- سنله : هل تتبعه أحد ؟

ألقى الرجل السؤال إلى (داني) ، عبر أسلاك الهاتف ،

واستمع إليه في اهتمام ، ثم قال لـ (فوستر)

- يقول - إنه لم يلمح أحدا خلفه

عند (فوستر) هاجبيه ، وهو يلتفت في عصف وصمت ، ثم قال

في هزم :

- قل له أن يستمر في الخطة

قال الرجل عبر الهاتف

- استمر يا (داني) .

ثم أنهى المحادثة ، والتفت إلى (فوستر) ، يسأله

- هل نتوقع شيئا من هذا يا سيدي ؟

أجابه (فوستر) في انقباض :

- الكثير .

كان من الممكن أن يكتفى بهذا الرد المقتضب كعادته ، إلا أنه وجد في نفسه الرغبة في الحديث ، فتابع بعد وهلة من الصمت :
- خصوصاً يتصورون أنهم الآنكى هذه المرة ، ومن الضروري أن نلقتهم درساً قاسياً ، بعضهم لأن المفهرات المركزية الأمريكية هي الأقوى دائماً .

وتراجع في مقعده في زهو واضح ، مستطرداً :

- ولا بأس من بعض المرح .

رئد رجله . وهو يتطلع إليه في دهشة :

- المرح ١٢

برأت عنها (فومستر) ، يبرق بناسب لقلبه كثيراً ، وهو يقول :

- نعم يا عزيزى .. المرح فى عملنا أمر ضرورى ، يجب

نشاطنا ، ومنتحنا المزيد من الثقة والخطر .

ثم نهض من خلف مكتبه فجأة ، مستطرداً :

- ها يا رجل .. انظروا هذا الهلوكوبتر المصفحة ، الخاصة

بى .

وحالت عنها تتألقان فى جذل عجب ، وهو مستطرد :

- لا ينبغي أن يفوتنا الحفل .

وبعد ما فعل شيئاً لم يفعل مثله منذ فترة طويلة .

لقد قلبه ضاحكاً ..

وبمنتهى المرح .

جذب (حسام) مشط مسنمه فى حزم . وهو يراقب الكوخ

الخشبي ، فسألته (منسى) ، وهى تعذ مسنمها بدورها :

- هل تنوى مهاجمتهم مباشرة ؟

سألها فى لهجة العرب إلى السخرية :

- أأنتيك القترأح آخر ؟

سعلت شفتيها ، قليلة :

- لا .. ليس لدى أية اقتراعات أخرى .

بدأ أمامهما أربعة من المسلحين ، يفكرون الكوخ مع

(دانسى) ، وببهم رجل مقبذ ، يخطى وجهه تحت ثام سميك ،

وهم يدفعونه أمامهم فى خلقة ، نحو سيارة (دانسى) ، لمصوبت

(منسى) مسنمها إليهم ، وهى تتملم :

- ها هودا (هاروند) .. يمكننا البدء ، على بركة الله (مسبحاته

وتعالى) ، و...

فأطعها (حسام) بقلة :

- مهلاً .

التفتت إليه ، تصفه فى دهشة :

- أن تبدأ الهجوم ؟

هز رأسه نفياً ، وهو يعيد مسنمه إلى شمده ، قائلاً :

- لا .. ليس الآن .

هتكت فى خفوت .

- انتركهم يرحلون به ، أمام بصرنا وسمعنا ؟

ايئسم قاللاً :

- لن يذهبوا بعيداً . إليهم سيستقلون سيارة (دانسى)

العزيز . ثم تنتهي إلى هذا ؟ دعينا نسمح لهم بمقابلة المكان

يا عزيزتى ، فهم الآن فى قمة تحفظهم وانتباههم . وسنتبعهم

حتى يصلوا إلى العنبر الجديد ، وبعد أن يستلزم بهم الحال هناك ،
وتهدأ لغوسهم ، سيضرب ضربتنا ، ونستغل عامل المفاجأة ،
الذي لن يمكننا استغلاله أبداً . وهم يتحذرون هكذا .

بدت لها فكرته نكية بالفعل ، واعترفت في أعماقها أنه ذكي
وبارع ، فاعانت مهندسها إلى غمده . وقالت
- أنت على حق .

رمقها بنظرة جاتبية صامتة ، وانتظر حتى انطلق الرجال مع
أسيرهم بالسيارة . ثم قال في حزم .
- هيا بنا .

انطلقا إلى سيارتهما ، واستقلها ، وراحا يتابعان تلك النقطة
المتصيلة مرة أخرى ، عبر طرق جانبية وعرة ، حتى ينفكا كوخاً
خشيباً آخر ، فتوقفا برأبقتها في اهتمام ، من خلف شجرة
ضخمة ، وقالت (منى) :

- ها هي دى سيارة (دالى) امام الكوخ
ظن (حسام) لحظات يراقب الكوخ بمظاره ، قبل أن يقول :
- وها هوذا (هارولد) في الداخل ،
سألته :

- هل لهاجم الآن ؟
هز رأسه نفياً ، وأجاب :
- امنحهم بعض الوقت يا عزيزتى
ثم تطلع إلى ساعته ، مستطرداً :

- ستغرب الشمس بعد ثلاث ساعات - سملحهم كل هذا
الوقت ، ومع اختفاء قرص الشمس في الأفق .

طرق منابته وإبهامه ، معطياً المعنى المنشود ، وشمز بعينه
لـ (منى) : قللاً في مرج :

- أيناسيك هذا ؟

لنقسمت مغفلة :

- بالتأكيد .

راى عليهما الصمت لحظات ، وسط أعشاب عالية ، وأشجار
ضخمة . ولم يعد كلاهما يسمع سوى حفيف الأوراق ، وزلزلة
العصافير ، و (حسام) يواصل مراقبته للكوخ في اهتمام بالغ ،
ودون أن يتبادل مع (منى) كلمة واحدة ، لتصف ساعة كاملة ،
قبل أن يرفع مظاره عن عينيه ويسألها بابتسامة كبيرة :

- أنشعرين بالجوع ؟

هزت رأسها ، لائلة في خفوت

- ليس كثيراً

قال في لهجة تحمل شيئاً من الحنان

- إنك لم تتناولى شيئاً منذ الصباح .

ثم اعتدل قائلاً في مرج

- حسناً - سنتبادل الأدوار . أنت تقومين بالمراقبة . وأنا

أحضر الطعام من السيارة - عارياًك ؟

التفتت المنظار المقلوب ، وهي تقول مبتسمة .

- لا بأس .

تهض في نشاط ، ليحضر الطعام من السيارة ، ولكنهما

استوقفته قائلة في تردد :

- (حسام) .. (منى) .

التفت يسألها مبتسماً :

.. إنك ماذا ؟

تطلعت إليه لحظة ، ثم خلعت عيها ، قائلة :

.. إنني أدين لك بالاعتذار .

لم يدم بوقت ثلثة . وإن ظهرت على وجهه ملامح الدهشة لحظة ، قبل أن تتابع هي في ندم وأسف وأصحين .

.. لقد أسأت معاملك في الهداية ، دون قصد مني ، ولكنني لم أكن أحتمل ..

فأطعها في حنان :

.. فيما بعد .

رفعت عيها إليه ، فاستقبلتها ابتسامته الهادئة ، وهو يتابع :

.. سنزول الحديث حول هذا لما بعد .

وأوح بكفه ، مستظرياً :

.. سأحضر الطعام .

مرافقته وهو يبتعد في خفة ونشاط ، وغضبت لنفسها :

.. لقد أخطأت في حقه بالفعل .

ثم أمسكت المنظار ، واستكثرت إلى الكوخ ، وانهمكت في مراقبته ..

أما (حسام) فقد تابع سيره إلى حوث ترك السيارة ، وقال لنفسه في ارتياح ، وهو يفتح حقيبته :

.. يبدو أن الأمور ستتصالح كثيراً مع عزيزتنا (منى)

أحتس ليبتلق حقيبتي الطعام ، و..

وفجأة أصابته ضربة قوية في ظهره . كانت تسقطه داخل

حقيبة السيارة ، لولا أن تشبث بحائلتها في قوة ، ثم طغ كفه إلى الخلف في عنف ..

كان رد فعله مناسباً ومرئياً ، فقد أصابت كفه بمعدة خصمه من الخلف ، وتناهى إلى مصامحه صوت آهة ألم مكتومة ، فالتى جسده في مرونة ، وفقر جانباً ، ودار حول نفسه في سرعة ، وواجه خصمه وجهاً لوجه .

كان خصمه بفوقه حجماً بمرء ونصف المرة على الأقل ، ويحمل مدقاً آلياً صلباً ، وكل لحظة من لحائته تحمل الصرامة والعزم والقوة .

ولكن (حسام) لم ينتظر لحظة واحدة ..

ولا حتى جزءاً من الثانية ..

لقد انقض على خصمه على الفور ، وفقر يركل معدته ركلة أخرى ، أعنف من سابقتها ، ثم يركل المدفع الآلي من يده في قوة ..

وطار المدفع من يد الرجل ، واستقر وسط الأعشاب الكثيفة ، فهتف الرجل في غضب :

.. أيها الحقير .

لم يترضى (حسام) على الصلابة باللفظ واحد ، وإنما جاء اعتراضه على هيئة لكمة صلبة وجهها إلى ألف الرجل ، الذي تراجع خطوة إلى الوراء . ثم انقض على (حسام) ، وأمسك وسطه بكفه ، ورفعه إلى أعلى ، كما لو كان طفلاً صغيراً ، وهو يهتف .

.. سأحظك أيها الرجل الصغير .

وبكل قواه ، هوى (حسام) على جانبي عنق الرجل بحافتي يديه ، ثم رفع ركبته في نفس اللحظة ، ليعصر بها فكاه وصرخ الرجل في ألم ، ولكنه لم يفلت (حسام) ، وإنما دفعه أمامه ، وهو يندفع إلى حيث جذع شجرة ضخمة ، وعصر بظهر (حسام) بها في عصف ، صارخا :
- سأعظمك .. سأعظمك .

شعر (حسام) بالآلام رهيبة في عموقه الفقري ، والرجل يضربه بالجذع الصخيم مرة ومرة ، ومرة . وانترك أن جسده لن يحتمل هذه العصابات للثورة طويلة ، فاستزع مسنسه من ضده ، وقال في ألم :
- أنت أدت هذا أبها الوغد .

شعر الرجل بقوة المسنن تنصق بصدغه ، فأبعد رأسه في سرعة ، والقي (حسام) أرضاً ، ثم التزع مسنسه بدوره ، هاتفا :

- نعم .. أنا أدت هذا

رفع قوّه مسنسه نحو (حسام) بمرعة مدهشة ، ولكن (حسام) كان الأسبق في ضغط زبال مسنسه ، العزود بكاتم للصوت .

وجحظت عينا الصخيم لحظة ، وبدا كأنما اصيفت إليه عين ثالثة ، في منتصف جبهته تماماً ، ثم لم تلبث تلك العين الثالثة أن تلجرت بالنماء ، وسقط الصخيم جثة هامدة . عند قدمي (حسام) ، الذي قلز والقلأ ، وقال في ثور :
- إن فقد كشظتم أمرنا



وقهر بكل معدنه ذكالة أخرى ، أعف من ساهمها ، ثم يركل المدفع

والطلق بكل سرعته نحو المنيأ ، الذي تختفى فيه (منى) ،
ولم يكد يرفعه حتى هتف بها
- هيا .. سنهاجم الآن .
مبالبته في لحظة قلقة :
- ثملاً ؟ . ماذا حدث ؟
أجاب في حزم :
- لقد كشفوا وجودنا .. أحدهم هاجمنى عند السيارة ، ولو لم
نهاجم الآن ، لقد نخسر كل شيء . إتينا نعرف موضع (هارولد)
الآن ، وإن نضيع هذه الفرصة أبداً .
سألته في جزم :
- أئن نضع خطة للهجوم ؟
قال في صرامة :
- إنهم يعلمون بوجودنا ، ويبتطلروننا ، ولم تعد هناك فائدة
من الاختباء والمراوغة .. سنأهضر كل الأسلحة من السيارة ،
ونهاجمهم على الفور .
فالت في حسم :
- سنأهضرها معنا .
عادا إلى السيارة ، وأهضر كل منهما مدفعاً آلياً ، وقنبلتى
دخان ، ومستسماً ، وكمية لا بأس بها من الذخيرة ، ثم قال
(حسام) في حزم :
- سنهاجم من محورين .. قنابل الدخان أولاً ، ثم هجوم
بالمدايع الآلية .
سألته في قلق :

- وماذا عن (هارولد) ؟ . ألا يحتمل أن يقتلوه ، إذا
مباينرناهم بالهجوم ؟
هتف :
- مطلقاً .. إنهم سينصرون أننا نحن نسمى إلى قلته ،
والثقل منة ، ومن كل ما يعمل من أسرار ، وسيدافعون عنه
بالقوى ما يمكنهم .. أطمئنى .
راقب الكوخ لحظة ، ثم قال :
- الآن .
الفرقا في الجانبين ، واتجه هو إلى يسار الكوخ ، في حين
اتجهت هي إلى يمينه ، ومن بعد أشار إليها إشارة خاصة ..
وبدا الهجوم ..
بدأ بقنبلة دخان ، ألقاها (حسام) نحو نافذة الكوخ البصري ،
هتافاً :
- الآن .
ألقت (منى) قنبلتها بدورها ، نحو النافذة اليمنى ، ثم ضغطت
زراد مدفعها الرشاش ، وشمرت الجانب الأيمن للكوخ
برصاصاتها ، في سماء منقطع الظير .
وفي أول مواجهة حية ، بعد عمله بالمخابرات العامة ، ألقت
(حسام) جراًة حقيقية . منقطعة الظير ..
لقد أطلق رصاصاته على الجانب الأيسر للكوخ بدوره ، ثم
اندفع بعوه في جسراً ، مستقلاً عمل المفاجأة ، وأطلق النار
على رتاجه ، ثم دفع بابه بكنقه ، وقلل داخله ، وتخرج على
لرضه في مرونة ، ثم اعتكف مصوباً مدفعه إلى من داخله ..

وهنا كانت المفاجأة .

ثم يكن هناك مخلوق واحد داخل الكوخ

لفظ عدة لمى . فى حجم البشر ، تشبه (حداها) (هارولد) .
وتشبه الأخرى (دالى) ، ثم بعض اللعى الأخرى ..

وهتف (حسام) فى غضب :

.. اللعنة

كانت سحب الدخان تملأ الكوخ ، فاندفع مرة أخرى خارجه ،

وهتف :

.. كفى يا (منى) . كفى .

لطفها بالإنجليزية ، فأوقفت (منى) سيل رصاصاتها ، وهى
تسأله بالإنجليزية مماثلة :

.. ماذا حدث ؟

هتف :

.. إنه فح .

وهنا انبعث صوت (فوستر) عالياً ، من عدة مكبرات صوتية

تحيط بالمكان ، وهو يقول فى سخرية

.. صدقت أيها الانتحارى إنه فح .

شعرت (منى) بتوتر بالغ ، وتلفتت حولها فى اضطراب ، فى

حين هتف (حسام) بالإنجليزية

.. اذهب إلى الجحيم

اتاء صوت (فوستر) ، يقول

.. لست أدرى من منا سيذهب إلى الجحيم أيها الانتحارى .

ثم ارتفع صوته ، وهو يقول فى صرامة

.. امسحوه عذبة مما تملك يا رجال .

وهنا انهمر سيل الرصاصات الحارقة .

بل شلال منها ..

شلال من رصاصات قاتلة ، انهمر على راسي بطنينها .

.. (حسام) و (منى) .

٧- من أنت ؟ ..

على الرغم من شلال الرصاصات الذي الهمر على (حسام) و (ملى) إلا أن رصاصة واحدة منه لم تصب أحدهما ، وإنما أحابت الرصاصات بهما إحاطة الموار بالمعصم ، قبل أن يرتفع صوت (فومستر) ، قتلًا :

- إنها مجرد عيلة ، كما أخبرتكما .

شعرت (ملى) بخوف شديد ، وهي تقول لـ (حسام) في خلوت :

- إلهم يحفظون بنا تمامًا .

تعتم (حسام) في سقف :

- يا أباؤنا !

ثم قال لـ (ملى) في حزم :

- تنكرى أنه ، منذ هذه اللحظة ، لم نتحدث لو نطلق حرفًا واحدًا ، إلا بالإنجليزية أو العبرية .. هل تفهمين ؟

- أجابته بالإنجليزية :

- نعم .

ارتفع صوت (فومستر) مرة أخرى ، يقول في صرامة :

- هيا .. إئلى النظر استسلامًا غير مشروط .

سألت (ملى) (حسام) :

- هل نستسلم ؟

قال في حلق :

- لويس أمامنا مبوى هذا .

ثم أضطرب غاضبًا :

- في الوقت الحالي .

وأنقى مدفعه ، قائلاً في حدة :

- إئنا نستسلم أيها الوغد .

شعرت بضيق شديد ، وهي تلتقي مدفعها ، وترفع يديها مستسلمة ، ثم لم يلبث هذا الضيق أن تحول إلى مزيج من الدهشة والخوف ، عندما برز من بين الأشجار ، عشرات من رجال المخابرات الأمريكية ، يحملون مدافعهم الآلية ، ووسطهم (دالى) ، الذى يتسم ظاهراً ، ويتجه إليهما ، قائلاً :

- لقد وقعنا .

أجابته (حسام) بالإنجليزية في سخرية :

- من نواعى فخركنا (على الأقل) أن تهندوا كل هذا الجيش للإطعام بنا .

قال (دالى) في غلظة :

- لم تكن تعرف صدكم .

قال (حسام) في سخرية :

- حقاً ؟

أمسكت (ملى) من يافته فجأة في غلظة ، وهو يقول في حدة :

- أسمع أيها الرجل .. أنت تولجه القوى جهاز مخابرات في

العالم أجمع ، ونحن نستطيع سماع دبيب النملة ، ورصد أصغر

حشرة تحاول الاقتراب منا .

قال (حسام) بنفس السفورية :

- ربما يعاوبكم على هذا شعورك بالانتماء إلى عالم الحشرات .

بدال (ملي) شديد التشبه بـ (أدهم صبرى) ، وهو يتعامل مع خصومه بكل السفورية والامتهتار ، وبدالها (دلى) أشبه بكثرة ملتهبة من الغضب ، وهو يصرخ به :

- سأعطيك من منا ينتمى إلى عالم الحشرات أبها الحفير .

وهنا ظهر (فومستر) نفسه ، وهو يقول :

- ليس الآن يا (داتى) .. لا تجعل ضيقنا يظننا أننا نفكر إلى

الكرم .

وانته إلى حيث (منى) و (حسام) فى بطة وهدهد ، ثم رمى

كلًا منهما بنظراته الحادة المتفحصة ، قبل أن يقول -

- أعترف أنكما لعبتما اللعبة فى إتقان شديد ، وبمهارة

تستحق الإعجاب ، وكان يمكنكما الانتصار ، لو أنكما تواجها

(جيمس فومستر) نفسه .

بدالهما شديد الغرور ، وهو يتابع -

- لقد كانت لعبة زرع أجهزة التصنت فى مكتبى رائعة ،

ونكلى أدركت أن زيارتك يا فتاتى ليست طيبة ، لذا فقد أمرت

رجالى كتابة ، بفحص كل شبر بالحجرة ، حتى كشفنا وجود

جهازى التصنت ، وبعدها أدركت أن تلك المراقبة المزعومة ،

لخزاة نادى (الجوالف) ، كانت مجرد وسيلة لتغطية محاولة زرع

جهاز تصنت آخر ، فى حايبة أدوات (الجوالف) الخاصة بى -

وأتسمت على شغليه ابتسامة زهو واضحة ، وهو يضيف :

- ولكننى تظاهرت بالقضاء ، وبأنتى أظن أن جهاز التصنت

مزروع فى إحدى أدواتى ، وليس فى الحقيبة نفسها ، وتظاهرت

بأننى أطلب من (داتى) فحص الأدوات ، فى نفس الوقت الذى

تركته له فيه ورقة ، تشرح فيها الأمر كله ، وأطلب منه التظاهر

بالقضاء ، والذهاب إلى منزل خداعى ، أعدناه كطغ لمن يحاول

تعبنا مثلكما ..

واتسمت ابتسامته ، وهو يستطرد :

- ولقد نجحنا إلى خداعكما .

قال (حسام) ساخرًا :

- هل أصفق ؟

رمقه (فومستر) بنظرة حادة ، وقال :

- ما جنسيتك يا فتى ؟

هز (حسام) كتفيه ، قائلاً :

- سأمنحك فرصة التظمين .

ضابت حنقًا (فومستر) ، وهو يتلخس فى ملامحه لحظة ،

قبل أن يقول :

- آتت حربي ؟

أجاب (حسام) فى برود :

- ربما .

ترجع (فومستر) خطوة ، وأشار إلى أحد رجاله ، قائلاً فى

صرامة :

- فتنهما .

تعلق حاجبا (حسام) ، وهو يقول :

- لو حاول أحدكم لمس زميلتي ، لسيكون هذا آخر ما يلمسه في حياته كلها .

ابتهسم (فوستر) ، قائلاً :

- هذا يرجع كونك عربيًا .

خشيت (منى) أن يتكشف أمرهما ، فقلت :

- لا بأس يا (دافيد) .. يمكنهم تفتيشي .

صاح بها (حسام) في لحظة متحمدة :

- لا تتطقي أية أسماء .

التفتي حاجبا (فوستر) في شدة ، وهو يردد :

- (دافيد) ؟؟ .. ألتتما ...

بقر هيارته مرة واحدة ، والنكت نظراته بنظرات (داني) في قلبي ، قبل أن يقول :

- لا بأس .. لن نهتم بتفتيشكما هذه المرة ، ولكنني أطلبكما بالفراغ محتويات جيوبكما كلها أمامنا .

اطعاه هذه المرة ، وأخرجنا محتويات جيوبهما عن آخرها ، وراح (داني) يفحص المحتويات في اهتمام بالغ ، ثم قال :

- لا يوجد أي شيء مشهور إلى شخصيتكما يا سيدي ..

لا أوراق ، أو جوازات سفر ، أو رخص قيادة .. لا شيء قط ..

ألقى (فوستر) نظرة سريعة على كل الأشياء ، ثم قال :

- وماذا عن هذا ؟

والتقط من بين الأشياء ورقة نقدية ، رفعها أمام وجهه (حسام) ، قائلاً -

- لقد تمسيتها هذه يا عزيزي (دافيد) .

كانت ورقة من فئة العشرة ليرات الإسرائيلية ، نطلع إليها (حسام) في دهشة مصطنعة ، قبل أن يلتفت إلى (منى) ، هاتفا في غضب مفتعل .

- أيتها اللعينة !.. ألم أطلب منك التخلص من كل ما يمكن أن يشهر إلها ؟

تظاهرت (منى) بالارتباك ، وهي تقول :

- لم ألتفت إلى هذه الورقة يا (دافيد) .. صدقني ..

صاح .

- سأقتلك يا (هانا) .. سأقتلك من أجل هذا

تبادل (داني) نظرة أكثر قلقا مع ريسه ، الذي غمغم في هلوت :

- بالشيطن !.. إنهما إسرائيليان !

قال (داني) في قلق :

- سيدي - هذا مشير لزمة في ال ..

قاطعه (فوستر) مشيرًا بيده :

- نصمت .

ثم ألتفت إلى (حسام) و (منى) ، وقال :

- من أجل أمر جنسيتكما هذا إلى ما بعد ، أما الآن فسيقودكما

بعض رجال إلى سيارتكما ، ومنقوم بتفتيشها جيدا ، ثم

سيحبسكما رجائيا بها إلى إدارتنا ، حيث يتم استجوابكما جيدا .

وأشار إلى أحد رجاله ، قائلاً :

- خذكما إلى هناك .

اصطحب الرجل ، مع ثلاثة آخرين ، (حسام) و (منى) إلى

حيث تكف سيارتهما ، في حين قال (داني) في توتر :

- أتصدق أنهما إمرئيليان حقا يا سيدي ؟

اجابه (فوستر) في توتر :

- لا يمكنني استبعاد هذا ، فعلى الرغم من التعاون القاتم ، بيننا وبين (الموساد) ، منذ زمن طويل ، إلا أن هؤلاء الاسرائيليين لا يتورعون عن القيام بأية أعمال تجارية ، مادام هذه هي صالحهم ، بغض النظر عن الاخلاقيات والقواعد والمثل قال (داني) في ارتجاع :

- إلى حد زرع جاسوس بين صفوفك ؟

لوح (فوستر) بكفه ، قائلا :

- إلى أي حد يا (داني) ، إلى أي حد

ثم روى ما بين حاجبيه ، مستطردا في توتر :

- ولكن من المؤكد أن هذا سيزيد الأمر تعقيدا يا (داني) ..

مزيدا تعقيدا إلى درجة رهبة بحق .

في نفس الوقت ، الذي دارت فيه هذه المحادثة ، بين

(فوستر) و (داني) ، كان الرجال الاربعة يكدسون (حسام)

و (منى) إلى سيارتهما ، وغصمت (منى) بالانجليزية :

- لقد فشلت المهمة .

اجابها (حسام) في هزم :

- ليس بعد .

لم تناقشه في هذا ، ولكنها شعرت في أعماقها أنه متفائل أكثر

مما ينبغي ، فلأدت بالصمت ، وحاولت أن تتخيل ما سيفعله

(ادهم) ، لو أنه في نفس الموضع ، ثم تم تثبت أن نصحت الصورة

من عقلها ، وهتلت في داخلها :

- استيقظي يا (منى) .. لا داعي للعيش في عالم الخيال إلى

الابد .. لقد اعتزل (ادهم) الصل ، و (حسام) هو رفيقك الآن ..

هيا .. تقبلي الأمر في شجاعة وواقعية

كان قد بلغا السيارة ، في حراسة الرجال الأربعة ، فتوقف

(حسام) عن السير ، وقال في صرامة :

- لن أخطو خطوة واحدة زائدة .

دفعه أحد الرجال في غظة ، قائلا :

- نلزم يا رجل ، وإلا حطمت رأسك .

شعرت (منى) بالدهشة لموقف (حسام) ، وهو يقول في

عناد :

- الفعل ما يحدثك ، ولكنني لن أتحرك من موقعي هذا .

فكره الرجل بحسب مدفعه في عنف ، هاتفا :

- قلت نلزم ..

لم تكن الضربة قوية إلى حد كبير ، ولكن رد فعل (حسام)

جعلها تبدو أشبه بقنبلة مدفع ، إذ سقط أرضا ، وتخرج لمتري

كاملين ، وأحد الرجال الاربعة يقول في سخرية :

- هيا يا رجل . لا أعني لكل هذه التمثيلية السخيفة . إننا نعلم

أنك أقوى من أن تجنلك ضربة كهذه .

ولكن فجأة اعتدل (حسام) ، وهو يحمل بين يديه مدفعا آليا ،

جعل الرجال الأربعة و (منى) يحدقون فيه بدهشة ، وهو يهتف

في سخرية :

- يا لنكاه !

قبل أن يفوق الرجال من دهشتهم ، كانت مهابته تضغط



الزناد ، ورصاصات المدفع الآلى تحصد الرجال الأربعة حصدا ..
وهتلت (منى) ، وهى تندفع إليه :
- من أين حصلت عليه ؟
أجابها وهو يدعو إلى جانبها ، نحو السيارة :
- لقد أفلحت به ، من يد الرجل ، الذى هاجمنى ضد السيارة ،
ونذرت مكانه جيدا ، حتى أعود إليه ضد الحاجة .
هتلت فى إعجاب حقيقى :
- أنت رائع يا (حسام) .
فقر داخل السيارة ، ودار محركها ، هائلا :
- سيمعنى صباح هذا الإطراء فيما بعد أيتها الزناد .. لما الآن
فاتخذى مقعدك فى سرعة ، واربطى حزام الأمان جيدا ، فستبدأ
المطاردة على الفور ، ولابد لنا من بدء الفرار الآن ، وإلا فن
تعرف الرحمة طريقها إلى ماسيحت بعد لحظات .
قالها وانطلق بالسيارة كالصاروخ ..
وبدأت المطاردة ..

لم يكده صوت رصاصات المدفع الآلى ، بهلع مسلح (فوستر)
ورجاله ، حتى تفجر القللى والدهشة فى قلوب الجميع ، وهذف
(فوستر) :
- أسرعوا يا رجال .. أسرعوا لتغطية زملائكم .
اندفع عشرات الرجال لتجدة زملائهم ، فى حين أضاف
(فوستر) :
- وأنت يا (دالى) .. غدا معك ثلاثة رجال ، واستقل سيارتك

قبل أن يهوى الرجال من دهشتهم ، كانت سياته تعطف الزناد .
ورصاصات المدفع الآلى تحصد الرجال الأربعة حصدا

لمطاردة (داني) وزميلته ، لو أن هذه الرصاصات تعنى نجاحهما في الفرار .

هتف به (داني) ، وهو يصرع نحو سيارته
- وماذا عنك ياسيدى ؟

أجابته (فوستر) :

- سأكون الغطاء الجوي لكم يا رجل

انطلق (داني) بسيارته ، بصحبة الرجل الثلاثة ، وغير طريق مختصرا قصيرا ، فاده مباشرة إلى الطريق الأسفلتي ، حيث بدأت سيارة (حسام) و (منى) ، وهى تنطلق مبتعدة ، فصاح (داني) برفائه :

- استعدوا يا رجال . سأنسف هذه السيارة نسفا .

ضبط دؤاسة الوقود حتى نهاية مداها ، وانطلق بسيارته المزودة بدائرة مرعة إضافية ، للحاق بسيارة (حسام) ، الذى زاد من سرعته بدوره ، عندما لصح سيارة (داني) ، وقال له (منى) :

- بدأت المطاردة اللعبة أيتها الرائد .. أخبرينى . هل يمكنك إطلاق النار ، من الزجاج الخلفى .

التقطت المدفع الألى ، وعبرت من فوق مقعدها إلى الأريكة الخلفية ، قائلة فى حزم :
- بالتأكيد .

حطمت الزجاج الخلفى بعدة ضربات من كعب مدفعها وصوت طرقة المدفع إلى سيارة (داني) ، وأطلقت النار .

رأت الرصاصات ترتطم بزجاج السيارة وجسمها ، ثم ترتد

عنهما فى عتف ، دون أن تترك فيهما إلا عدة خدوش بسيطة .
- فهتفت بـ (حسام) :

- إتها سيارة مصفحة .

عند حاجبيه فى قوتر ، وهو يقول :

- وسرعتهما تلحق سرعتنا .

كان ينطلق بأقصى سرعة تسمح بها سيارته ، ولكن سيارة (داني) كانت تقترب بسرعة ، مما جعل (حسام) يقول .

- لابد من مناورة مباغتة .

ثم هتف فجأة :

- تشبثى أيتها الرائد .

وجذب ذراع فرامل اليد الإضافية فى قوة ، مما كبح جماع سيارته على نحو مباغت ، ثم أدار عجلة القيادة فى سرعة ، وترك السيارة تدور حول نفسها نصف دورة ، لتواجه سيارة (داني) ، الذى هتف :

- ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

وبمبادرة مذهشة ، انطلق (حسام) بسيارته نحو سيارة (داني) صليحا

- الإطارات أيتها الرائد .. صوبى إلى الإطارات .

أطاعته (منى) دون تفكير ، وانتظرت حتى بدأت إطارات سيارة (داني) ، فأنطلقت رصاصاتها نحوها بلا تردد ..

والفجر الإطارات الأماميان لمسيارة (دائى) ، الذى لقد
سيطرته عليها ، وحاول منعها من الخروج عن الطريق فى
استماتة ، وهو يصرخ :

- أيها الأوغاد ! أيها الأوغاد !

ومرة أخرى جنب (حسام) تراف فرامل تليد الإضافية ، ودار
بالمسيارة نصف دورة ، وانطلق فى مساره الأول ، هتفاً فى
ظفر !

- لقد هزمناهم أيها الرائد .. انتصرونا على عمالة المخابرات
الأمريكية .

فوجيء بها تقول فى صوت مرتجف :

- ليس بعد .

لم تكلم تنطقها ، حتى التفتت أثناء طلوع مروحة الهليكوبتر ،
التي تلتزم منه فى سرعة ، فالتفتى حاجبها ، وهو يقول فى
توتر !

- يبدو أنهم يستخدمون سلاحهم الجوى أيضا .

لم يكلم يتم عبارته ، حتى انتهت رصاصات مدفع الهليكوبتر
على السيارة ، واخترق بعضها سقفها ، والمعد الذى كانت
تحتله (منى) ، وحشم زجاجها الأمامى ، فهتفت (منى) فى
ذهر :

- إنهم يجيدون التصويب .

أدار (حسام) عجلة القيادة ، قائلاً فى حزم :

- لنجعل مهمتهم عبيرة على الأقل .

اتخذ فى انطلاقته مساراً متعرجاً ، وراحت الرصاصات تنهمر
عن يمينه ويساره ، وبعضها ينجح فى إصابة جسم السيارة ،
وقالت (منى) :

- إنك بهذا تمنعنى من التصويب .

سقطها فى لحظة :

- أتحاولين إطلاق النار على الهليكوبتر ؟

هتفت فى حزم :

- ولم لا ؟

أطلق ضحكة جنونة ، وقال :

- نعم .. ولم لا ؟

ثم أضاف فى حزم :

- هيا .. استمدى .. ستأخذ فجأة مساراً مستقيماً ، وعندئذ

أطلقى النار عليها .

واعتل فى مساره فجأة ، هاتفاً :

- الآن .

وهنا رفعت (منى) مدفعها ، وأطلقت سبلاً من الرصاصات

على الهليكوبتر ..

ولكن الرصاصات ارتدت عن جسم الهليكوبتر وزجاجها ،

كما فطعت مع سيارة (دائى) ، فهتكت (منى) ، قائلة فى إحباط :

- إنها أيضاً مصفحة .

مرى التوتر فى جسد (حسام) ، وعاد للانطلاق فى مسار

متعرج ، مضطجاً :

- رباه ! .. إننا نواجه تكنولوجيا جيتهم كلها .

ثم لصح لائحة على جانب الطريق ، فهتف :

- ولكن هناك أملاً .

مبائنه في لهجة :

- ما هو ؟

أجاب في عزم :

- لقد اقتربنا من (نيويورك) ، ولو تجحنا في دخولها ، فلن
نتمكن الهليكوبتر من الظفر بنا .

قالت متوترة :

- لو لم تظهر بنا قبلها .

لوح بكفه . هاتفاً :

- إنه يكون متر واحد ، سنقطعه في أقل من نصف الدقيقة ،

وبعدها بثلاثي الخطر ،

ولكن في نفس اللحظة ، داخل الهليكوبتر ، كان الطيار يقول
لـ (فوستر) :

- (إنه مراوغ بارع يا سيدي .. لابد أن نعرف بهذا ، وسبيل
(نيويورك) بعد لحظات ، وعندها لن يمكننا مواصلة إطلاق النار
عليه .

هاتف (فوستر) في غضب :

- لماذا ؟

أجاب الطيار في دهشة :

- لأنه سيدخل المدينة يا سيدي ، ولو أطلقنا رصاصة واحدة

داخلها ، فلن يفكر لنا مخلوق واحد هذا .

قال (فوستر) في ضغط :

- اللعنة على تلك الديموقراطية

ثم هتف بالطيار .

- فلنمنعه (إن من بلوغ (نيويورك) ، وبأي ثمن .

أجاب الطيار في حماس :

- سمعاً وطاعة يا سيدي .

كان (حماس) لحظتها يقول لـ (مس) في حماس .

- ها هي ذى (نيويورك) أيتها الرائد ، سنبلغها بعد لحظات .

ونتجاوز دائرة الخطر ، و....

ولمحة تجاوزته الهليكوبتر ، إلى نهاية الطريق ، الذي يقود

إلى (نيويورك) ، واستدارت تواجهه ، مما جعله يبتتر عبارته ،

مغمضاً في توتر :

- ماذا يفعلون ؟

وهنا انطلقت الهليكوبتر في مواجهته ...

وأطلق مدافعها لتتبرن نحوه .

وكانت المواجهة .

أخطر مواجهة .



٨ - المدينة ..

ماذا تفعل ، عندما تواجه هليوكوبتر مسلحة مصفحة ،
تطيرك بالميران ؟ ..
من المؤكد أن الجواب - المنطقي - لمثل هذا السؤال ، هو
الاستسلام دون قيد أو شرط ..
لو أن الاستسلام ممكن ..
وفي ذلك الموقف ، الذي يواجهه (حسام) و (منى) ، فطرت
(منى) نفسها في الاستسلام دون قيد أو شرط ، بل وتمت لحظة
لو أن هذا ممكن ..
ولكن (حسام) كان يرفض الفكرة تماماً ..
لم يكن من السهل عليه أن يتقبل فكرة الاستسلام ، وهو على
بعد نصف الكيلومتر ، من أول طريق النجاة ..
لذا فلم يتوقف (حسام) ..
صحيح أن الهليوكوبتر كانت تنقض عليه ، وتمطره
برصاصاتها ، وأن بعض هذه الرصاصات اخترق جسم السيارة ،
وكاد يبلغ قمميه ، وأن زجاج السيارة تهشم تماماً ، وعبرته بعض
رصاصات ، مرقّت فوق رأس (منى) ، قبل أن تعبر من النافذة
الخلفية المحطمة ، ولكن (حسام) لم يتوقف ..
وعلى العكس تماماً ، ضغط بواسطة الوقود بقوة أكبر ، وكأنا
يحاول إجبار السيارة على الانطلاق بسرعة تفوق سرعتها
القصوى .

ولوحى (فومستر) وطيار الهليوكوبتر ، بهذه العبارة
الدهشة ، فهتف الأول في دهشة عارمة
- ما الذي يفعله هذا المجنون ؟
أجابه الطيار في توتر :
- من الواضح أنه شديد الضاد . إنه يحصل الموت على
الاستسلام .

صاح (فومستر) :
- قمطه إنش - لطق عليه أحد صواريخنا
هتف الطيار ، وهو يجيب عصا القيادة إليه في قوة
- لم تعد المصافة تسمح بهذا .
- رأى (حسام) الهليوكوبتر ترتفع ، فعد إليه الأمل ، وأخذ
يقول

- منمنح أيتها الملازم . منمنح ياس الله
ولكن (فومستر) صاح بالطيار في غضب
- أطلق بيراتك على خزان الوقود هيا . بسرعة
استدار الطيار بالهليوكوبتر مرة أخرى . وراح يعطر خزان
الوقود برصاصاته ، في اللحظة التي هتف فيها (حسام)
- لقد وصلنا
وهنا استغل خزان الوقود ، وارتكبت منه السبة الذهب ،
فصاحت (منى) .
- السيارة مستفجرة .

صعق (حسام) فرامل السيارة في عنف ، فالتفت صرير
الإطارات في قوة ، ودارت السيارة حول نفسها أكثر من مرة .

قبل أن تتوقف على جانب الطريق ، بالقرب من مدخل المدينة .
وهناك (حسام) :

.. بسرعة أيتها الرائد .. بسرعة .

فلازم مع (مسي) خارج للسيارة ، وراهما (فوستر) يعدوان
نحو المدينة ، فصرخ بالطيار .

.. التلهمما .. التلهمما قبل أن نلقد أثرهما .

ولكن الطيار صاح :

.. لم يعد بإمكاننا هذا .. لقد دخلنا المدينة .

ومع الحروف كلماته ، انفجرت السيارة بدوى هائل .
لتضع نهاية لهذه المرحلة من الصراع ، وبداية لمرحلة أخرى .
مرحلة المطاردة ..

تطلع قائد يوليس (نيوبورج) لحظات ، إلى تلك الخطاب
الرسمي ، الذي يمسكه بين يديه ، ثم رفع عينيه إلى الرجل لمتين
اللبان ، الذي يقف أمامه صامتاً ، مرتكباً منظرأ شمسياً بكتفا .
على الرغم من وجوده داخل الحجرة ، وصائه :

.. أنت واثق من أن هذا يخص الـ (مسي . أي . إيه) مباشرة ؟

أوما الرجل برأسه إيجاباً ، وقال في برود :

.. مستعد لديك كل الأوراق والتوقيعات الرسمية .

قال قائد البوليس في خشونة :

.. لقد رأيت هذا

ثم وضع الخطاب على سطح مكتبه ، والتقط رسمين ، يقترب
شكلهما من هيتلي (حسام) و (مسي) ، وقال :

٨٣

.. إنني فالمطلوب ماذا هو تجسود معظم رجالنا ، للبحث عن رجل
وقبلة ، لهما هذا الشكل ، ثم نقوم بتسليمهما إلى
الـ (مسي . أي . إيه) .

.. غمغم الرجل بنفس البرود :

.. هذا صحيح

رماه قائد البوليس بنظرة تشق عن عدم الارتياح ، ثم أراح
الصورتين جانباً ، وقال :

.. ولماذا خالفت الـ (مسي . أي . إيه) القانون ، وصممت داخل

البلاد .. أليس من المفروض أن الأعمال الداخلية تخصد ، أو

تخص الـ (إف بي أي) ؟

أجاب الرجل :

.. إنها عملية خارجية ، ولكن تطور الأمور فامعنا إلى الداخل .

رأى قائد البوليس :

.. هكذا ؟

ثم هز رأسه لحظات في صمت ، قبل أن يضيف :

.. لقد وجدتم حلاً قانونياً .. أليس كذلك ؟

بدا شبح ابتسامة على ركن شفطي الرجل ، وهو يقول في
القتضاب :

.. بالتأكيد .

زفر قائد البوليس في صيبي ، ثم ضغط أحد الأزرار على

مكتبه ، فوافته سكرتيرته على الفور ، وهي ترتدي زيها

الرسمي ، وتولوا صورتي (حسام) و (مسي) ، وهو يقول :

.. خذي يا (ليا) .. اصنعي مذات السبع من هاتين الصورتين ،

وارسلى بمخفة من كل منهما إلى كل رجل من رجالنا ، في أركان
(نيويورك) كلها ، وأبلغنى الجميع أن هذا الأمر يحوز أولوية
مطلقة

أخذت الصورتين ، فالتفت :

- سأنفذ هذا على الفور يا سيدي .

ولم تلمس أن تلقى نظرة على الرجل ذي المتظار الدكن ، قبل أن
تعاين المكتب .

ولهمت على الفور أن الأمر هذه المرة بالغ الأهمية ..
والخطورة .

جلس (حصام) أمام المرأة المتهالكة ، في حجرة رديئة ، من
حجرات فنادق الدرجة الخامسة ، في أحد أحياء (نيويورك) .
ثبتت تحت أنفه شارباً مستعاراً اشطر اللون ، بعد أن انتهت من
ارتداء شعر اشطر مستعار ، وعلمتتين ررقاوين تعينيه ، ثم التفت
إلى (ملى) وسألها :

- مارأيك ؟

شعرت بشيء من خيبة الأمل ، وهي تتطلع إلى تلكه ، الذى بدا
لها ، على الرغم من إقنائه ، أشبه بلعبة من لعب الاطفال ، مقارنة
بما كان يقوم به (أدهم صبرى) قديما ، ولكنها نعمت :

- لا بأس .

كانت ترتدى بدورها شعراً مستعاراً ، له لون كستنائى لامع ،
وملفظاًراً ضحماً ، أبداً هيلتها تماماً ، ولكنها كانت تعتقد أنه من

السهل على أى شخص تعزفها هي و (حصام) ، لو أنه يبحث
عنهما بالذات ، مما يملأ نفسها بالقلق والخوف ، والكثير من
التوتر ، على عكس (حصام) ، الذى بدا هادئاً وثقاً ، وهو يقول :

- كل ما علينا الآن هو أن نغادر هذا الفندق الحقيقى ، وبمعدنا

يمكننا قطع (نيويورك) كلها ، حتى نبلغ تلك المنزل الآمن ، فى

مواجهة منزل عزيزنا (فومستر) .

سألته فى قلق :

- هل تلوى حقاً العودة إلى هناك ؟

أجاب فى صمم :

- إنه أفضل مكان نذهب إليه ، فلن يتصور أحدهم أبداً أن نلجأ

منهم ، ثم نعود إليهم هكذا .

لوملت برأسها متفهمة ، وقالت :

- ربما كنت على حق .

ابتسم قائلاً :

- اطمئنى .. قننى على حق ،

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها ببارته ، كان اثنان من

رجال الشرطة يدخلان إلى الفندق الحقيقى ، وأحدهما يقول للآخر

- حظيرة يا (مك) .. إننى لأحترم أسلوبك فى التفكير ، ولكننى

أعتقد أنه ما من جاسوس عاقل ، يقبل بالمبيت فى فندق (ماريو)

الحقيقى هذا .

لأجابه (مك) فى حزم :

- ولو .. لابد لنا من دراسة كل الاحتمالات يا (أرثر) .

ثم طلعت حوته ، هائلاً :

- (ماريو) .. أين أنت يا رجل؟

على براحتيه جرساً بدنياً صعداً ، فوق منضدة استقبال متآكلة ،
فظهر من باب جاتبي رجل نحيل ، طويل الأنف ، يمسك بشفتيه
بقايا سيجارة ، كاد رمادها يحرق شفتيه ، وشعيرات نطقه
الذامية ، وهو يقول بعونين نصف مختلفين .

- مساء الخير يا (ماك) ، وأنت يا (آرثر) ، ما الذي أتى بكما
هذه المرة ؟.. لقد قطعت كل صلاتي بالمساء والمفكرات ، و...
قاطعه (آرثر) في صرامة :

- لسنا هنا للتفتيش على الأشياء الروتينية يا (ماريو) .
نصمم الرجل في ارتياح وهو يلوك الكلمات بشفتيه ، كما لو
كان يمسح قلب السجارة المشتعل بينهما :
- خطاً ؟

أخرج (ماك) من جيبه صورتي (مسي) و (حصام) ،
ووضعها أمام (ماريو) ، قائلاً في لهجة خشنة :
- هل سبق لك رؤية هذين ؟

ألقى (ماريو) نظرة خاطفة على الرسمين ، وقال :
.. أهذا هو الرسم ، الذي يتم صنعه ، باستخدام أوصاف
المتهمين ، و...
قاطعه (ماك) :

- هل سبق لك رؤيتهما ؟
ألقى (ماريو) نظرة أخرى على الرسمين ، ثم صأ (ماك) في
اهتمام

- أتوجد مكافأة للإرشاد عنهما ؟
أجاب (ماك) في ضيق :

- لا .. لا توجد أية مكافآت .

وأضاف (آرثر) في صراحة :

- ولكن هناك استعداد للفاضي عن بعض التجاوزات .
كرز (ماريو) بلهجته نصف الذائمة :
- خطاً ؟

ثم أشار بيده ، مستطريداً :

- إتيهما بأعلى .. ثالث حجرة إلى اليسار .

تبادل (ماك) و (آرثر) نظرة ملوفا الدهشة ، قبل أن يسأله
(آرثر) في انفعال :

- أنت وأنتي يا (ماريو) ؟.. انظر للرسمين مرة أخرى

يصل (ماريو) الجزء الأخير من قلب السجارة ، ومسحبه
بقدمه في قوة ، وهو يطول في تراخ :

- آنا لا نتمنى أبداً وجهاً رأيت من قبل .

تبادل (ماك) و (آرثر) النظرات مرة أخرى ، وقال الثاني
للاول :

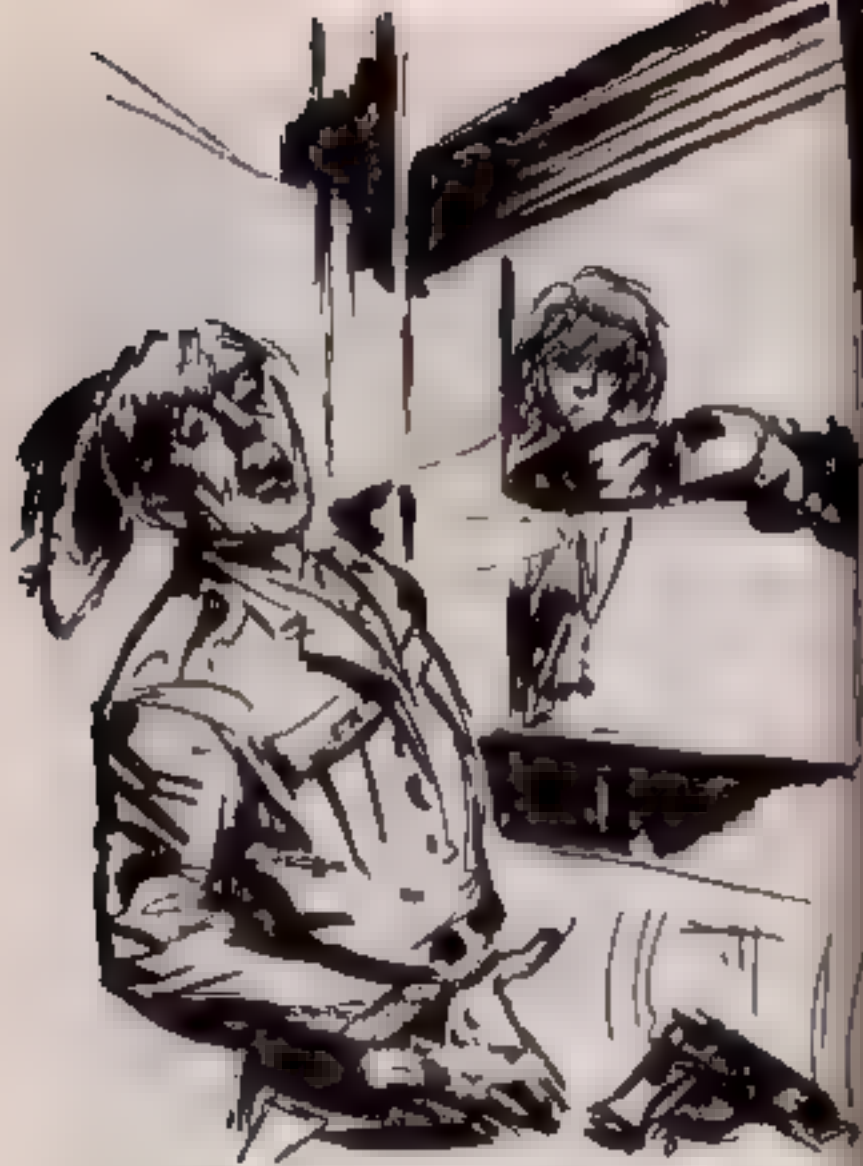
- اخرج أنت للطريق الجانبى ، وراقب السلم الخلفى جيداً ،
لما آتا ، فصاعد مع (ماريو) إليهما .

قال (ماريو) معترضاً :

- ماذا تقول يا رجل ؟.. لقد أرشفتك إليهما الحصب .

الذليع (ماك) مخافراً المكان ، لمرأية الشارع الجانبى ،
وملائم الطوارئ الطفوية ، في حين جذب (آرثر) (ماريو) من
ياقته ، وهو يقول في صرامة :

- مستبعد معي يا رجل ، شئت أم أبيت .



اندفع (آرثر) نحو النافذة المفتوحة ، ولكنه لم يكده يظل يرأسه منها ،
حتى تلقى ركلة عنيفة في أنفه ، أسقطته على ظهره .

همهم (ماريو) بحيلة ساخطة ، وصعد معه إلى الطابق
الثاني ، عبر درجات خشبية متحركة ، حتى بلغا حجرة (حسام)
و (منى) ، فلقى (ماريو) بلها ، وقال :
- مطرة أبها السيد المحترم . هل تطلب شيئاً من الشراب ؟
أداء صوت (حسام) يقول :
- لا .. ثوبن الآن .
وهنا أراح (آرثر) (ماريو) جنباً ، وهو يقول :
- بكفك هذا يارجل .
ثم ركل الباب بقوة في قوة ، فانتزعه من مفاصله الصلبة ،
وألغاه وسط الحجرة ، وهو يلتزع مصفحه ، ويلتفز وسطها ،
صالحاً :
- استسلماً .. المكان محاصر .
تولف لحظة في ثوبن ، عندما لاحظ أن الحجرة خالية ، ولكنه
سمع في اللحظة نفسها نوي رصاصتين ، مفترساً بصوت
(مالك) ، وهو يصرخ في الخارج :
- (آرثر) .. إنهما يحاولان الفرار .
الدفع (آرثر) نحو النافذة المفتوحة ، ولكنه لم يكده يظل يرأسه
منها ، حتى تلقى ركلة عنيفة في أنفه ، أسقطته على ظهره . ثم
فلز (حسام) داخل الحجرة ، هاتفاً :
- مطرة يارجل .. ما استعير مسدسك .
نوي في الوقت نفسه صوت رصاصة ثالثة ، اصطدمت بحافة
النافذة ، قبل أن تفلز (منى) غيرها إلى الدليل ، وتراجع
(ماريو) ملوفاً بكفكه ، وهاتفاً :

- إتني لم أخبرهما شيئاً .. أقسم لكما .

أما (آرثر) ، فحاول أن يعتدل ، قاتلاً :

- لن تحصل على مستحق إلا فوق ..

قاطعه (حسام) بركلة أخرى قوية في ذقنه ، أفلتته للوعى ،

فصطّر رأسه مرتطمًا بالأرض ، واتحنى (حسام) في سرعة يلتقط

المستحسن ، وهو يقول : (ماريو) في صرامة :

- ابتعد يا رجل .

فلل (ماريو) جانباً ، ومرتق (حسام) و (منى) من جانبه ، إلى

خارج الحجرة ، وبوت خلفهما رصاصة رابعة من (ماك) ، الذي

رفع جهازه للامتلاك ، وهتف عبره في توتر شديد

- هنا (ماك) ، من الطريق المباح .. لقد عثرنا على

الهاربين ، وأحتاج إلى نجدة قريبة ومريعة ، وإلى معاصرة

المنطقة كلها .

لم يسمع (حسام) و (منى) هذا ، ولكنهما انطلقا بأقصى

سرعتهم ، لمفارقة الفندق الحظير ، واندفع (ماك) محاولاً

اعتراضهما ، وهو يهتف :

- توقفوا أو أطلق النار .

ولكن (حسام) استدار إليه في سرعة مذهشة ، وانطلق عليه

رصاصة ، ألقته أرضاً ، ثم واصل النفاذ نحو سيارة الشرطة ،

و (منى) تهتف به :

- في هذا تختلف كثيراً عن (أدهم) .. إنه لم يكن مسرفاً في

ملكك تمام الآخرين مثلك .

فلل داخل سيارة الشرطة ، قائلاً في صرامة :

- اركبني بمرعة ابنتها الرائد .

فلزت إلى جواره ، فأدار محرك السيارة ، وانطلق بها خارج

الشوارع ، ثم انحرف يميناً في علف ، وتجاوز سيارة شرطة

أخرى ، حاولت اعتراض طريقه ، وأطلق لمبارته الصان ،

وخلفه تكوي لواق سيارات الشرطة الأخرى ، قبل أن يقول في

ضيق :

- لقد أصبت ذلك الشرطي في كتفه فجسب

هتفت :

- حلاً .. لقد تصوّرت أن ..

قاطعه في حدة واضحة :

- سنرجل الحديث عن هذا لما بعد ابنتها الرائد .. الا تترين أن

نصف شرطة (نيويورك) تطاردنا .

التفت خلفها ، لترى خمس سيارات شرطة تطارد مبارتهما

في إصرار ، و (حسام) يراوغها كلها في مهارة مذهشة ،

فمنحرف في طريق جانبي ، أو يتجاوز إشارة مرور ، أو يسير

عكس لخطوط السير المعتادة ..

ولم يكن ذلك سهلاً .

لم يكن كذلك ابداً ، في مدينة شديدة الإربحام ، مثل

(نيويورك) ..

ولجأة ظهرت أمامهما بعض المتاريس ، التي أقامها رجال

الشرطة ، فصاحت (منى) :

- احترس يا (حسام) .

لم يجب ، وإنما زاد من سرعته ، وراى بنائق رجال الشرطة

مضوية إليه ، فهتف في حزم :

.. الحلى وتشبثى جيداً أينما الرائد .

أطلق رجال الشرطة نيران بنادقهم عليه ، واختبرفت
رصاصةاتهم زجاج النافذة ، وغشيت إحداه كنفه ، قى حين مرقت
الثانية على اليد مستقيمة ولعد من عنقه ولكنه وأصل انطلاقته .
ورفع إطارات السيارة نحو عائلة الإفريز ، و...

وقفزت السيارة فى الهواء .

قفزت كمطاردة صغيرة ، تشق الهواء ، ثم تهبط على إطاراتها
فى عنف .

وقفزت السيارة مرة أخرى عندما ارتطمت إطاراتها بالأرض ،
ثم وأصلت انطلاقها بنفس السرعة ، وحصصات الشرطة تنهمر
على زجاجها الخلفى ، وتحبسه إلى لفات ..

ولمضت (منى) من الحائنها ، وبقيت الزجاج المحطم
بغيرها ، وهتفت :

.. لا يسعنى إلا الاعتراف لك بالبراعة ، ولكن هل ستواصل هذا
طيلة الليل ؟

أجابها فى حزم :

.. كلا بالطبع ، ولكننا فقدنا مطارديننا الآن على الأقل ، وهذا
يمنحنا بعض الوقت ، لتبديل خططنا .

لم يكذ يتم حديثه ، حتى ضغط فرامل السيارة فى عنف ،
وأرقلها إلى جانب الطريق ، هاتفاً فى (منى) :

.. هيا .

غادرت معه السيارة ، والطلقا يعدوان جنباً إلى جنب ، عبر
طرق جانبية ضيقة ، حتى بلغا بداية ضخمة ، فقال (حسام) :

.. أراهن أن إحدى نوافذ هذه النهاية تطل على أسطح المباني
المجاورة .

خلفا من سرعتهما ، واتجها إلى النهاية . ولكن حارسها
استقر لهما ، قائلاً :

.. مهلاً . أديكما أية مواعيد سابقة ، لمقابلة أحد المكنان
هنا ؟

كانت (منى) تتلقى هذا ، ولكن (حسام) قال بمرحاة

.. ومشأنا بالمواعيد ؟ إنما هنا لاستنجاز شقة بالبنابية
مط الحارمن شفتيه ، وقال :

.. لا توجد شقة خالية بالبنابية كلها .

اجلبه (حسام) بمنتهى الهدوء .

.. ولكن هناك شقة ستخلو قريباً ، فمستر (مارك) وعائلته
سيهتقلون إلى العاصمة (واشنطن) ، و..

فانطعه الحارمن فى صرامة :

.. لا يوجد هنا من يحمل اسم (مارك) .

ضحك (حسام) ، قائلاً :

.. لا ريب أنك مخطئ يا رجل . لا يمكنك حفظ أسماء جميع
المكنان هنا بالطبع .

قال الحارمن فى صرامة أكثر :

.. قلت لا يوجد سلك واحد ، يحمل اسم (مارك) .

لوح (حسام) بكفه ، قائلاً :

.. أنت مخطئ تماماً . اتنى أحمل بطاقته

نمن يده فى جيبه . ثم أخرجها فجأة ، وهى تحمل مسدسه .

ودفع الحارمن إلى الحائط فى عنف ، وهو ينصق فوهة مسدسه
بصفه ، قائلاً فى فسوة

- هل تعرفت البطاقة ؟

صاح الحارس في دعر :

- لست أملك مدلا .

دفعه (حسام) أمامه ، فأنلا في غلظة :

- افتح البوابة .

هتف الحارس :

- سأفقد على لو فعلت .

أجابته (حسام) في حدة :

- سأفعل أنا إذن .

ثم أدار فوهة مسدده إلى البوابة الزجاجية للضخمة . وأطلق

النار .

وانهارت البوابة الزجاجية محطمة ، إثر الرصاصات التي

أصابتها . ولكنها لم تكند تسقط ، حتى انطلقت صفارات إنذار قوية

في المكان ، وهتفت (منى) :

- يا إلهي ! .. الأمر يزداد سوءا .

هتف (حسام) بدوره :

- ليس بعد .

وهوى على فك الحارس بكلمة كالتفيلة ، أسقطته فاقد

الوعي ، ثم أمسك يد (منى) ، وصاح .

- هيا بنا .. سنخرج فقط لو أننا الأسرع .

انطلقا يعنوان إلى داخل البناية ، واستقلا احد مصاعدها

الأربعة إلى الطابق العاشر . وهناك أسرعتا نحو نافذة تطل على

بنية جاتبية ، وقال (حسام) :

- المصافاة من هنا إلى سطح تلك البناية المجاورة ، لا تزيد

على ثلاثة أمتار .. أيمكنك القفز عبرها ؟

هزت رأسها نفيا ، وقالت :

- لا .. لا يمكنني هذا .

قال في حزم :

- بل يمكنك هذا .

أخرج مسدده ، وأطلق رصاصاته على الزجاج . فحوّله إلى

فتات تتأثر في الهواء ، وتراجع للداخل :

- هيا أيتها الرائد .. سنعبّر هذه الأمتار الثلاثة .

صاحت به :

- لن يمكنني هذا أبدا .

هتف في صرامة :

- حاولي .. ليست أمامنا وسيلة أخرى .

تراجع أكثر ، ثم الدفع نحو النافذة المحطمة ، هاتفا :

- سأفعل بنفسي .

رأته يعضو نحو النافذة ، ثم يقفز معتمداً بقدمه اليمنى على

حافته السفلى ، ويدفع جسده كله في الهواء ، فلم يتمالك نفسه

من إطلاق شهقة قوية ، وجسده يمسح على ارتفاع ثلاثين مترا ،

ثلاثينين أو أكثر ، قبل أن تستقر قصاه على سطح المبنى

المجاور ..

وفي حماس ، التفت إليها ، وهتف

- هيا أيتها الرائد .. لقد نجحت لنا ، ويمكنك أن تتجحي مثلني

تراجعت في قلق ، وخيل إليها أنها لن تتجح أبدا ، ولكن صوت

أبو في شوارع الشرطة بلغ ميامعها ، وأثركت ان صطارة الانذار
قد أرشدتهم إلى موقعهما ، وأنه لم يعد هناك من أمل . سوى
النجاح في القفر إلى سطح التباينة المجدورة ، فالتقطت بعضا
عميقاً ، وقرأت في أعماقها آية قرآنية قصيرة ، ثم اندفعت بكل
قواها ، حتى بلغت السافذة ، فقفزت إلى إطارها السفلى . ثم دفعت
جسدها إلى الامام ..

والتصقت عيناها في رعب ، عندما أفتركت من خط سير
جسدها ، ألها إلى تبلغ السطح ابدا .
وكانت على حق .

لقد أخطأت السطح بنصف المتر فحسب ، ووجدت نفسها
تهوى ..

تهوى من ارتفاع ثلاثين متراً ..
وبلا أمل .



٩ - الحصار ..

اندفع (داني) إلى حجرة مكتب (فوستر) ، وهو يهتف في
حماس

- لقد عثرت عليهما الشرطة .

رفع (فوستر) عينيه إليه ، وسأله في لهفة :

- هل ألقوا القبض عليهما ؟

هز (داني) رأسه لها ، وقال .

- ليس بعد ، ولكنهم بطاردونيما عبر شوارع المدينة .

مط (فوستر) شفتيه تقياً ، وقال .

- لن يفلحوا بهما

سأله (داني) في دهشة .

- ولماذا تهزم بهذا يا سيدي ؟

نوح (فوستر) بكفه ، وقال :

- لأنه أمر طبيعي . من يطوي الآخر في رايك ، الشرطة أم

المضايقات ؟

ابتسم (داني) في شيء من الفخر ، قائلاً

- وهل يحتاج الأمر إلى التساؤل ؟

ابتسم (فوستر) بدوره ، قائلاً :

- هذا هو الجواب (لن) .

عاد (داني) يعقد حاجبيه ، وهو يقول :

- ما الحل (ذن ٢) .. إتينا لانتطوع الاشتراك في التطارده .
ومن الضروري في الوقت نفسه ، أن نطرح بهما .
بدت علامات التفكير العميق على وجه (فوستر) ، وهو يعتمد
بجبهته على أصابعه المفرودة ، مردداً :
- لابد من وجود وسيلة ما .. لابد .
رأى صمت تام على الحجرة ، لم يجرؤ (داني) على قطعه ، أو
ملاحظة تفكير رئيسه ، الذي جمد في مكانه طويلاً ، حتى بدا أشبه
بتمثال من الرخام . قبل أن يعتدل بفتة ، وعيناه تبرقان في شدة ،
وهو يهتف في حرارة :
- نعم .. هذه هي الفكرة .
سأله (داني) في لهفة :
- هل توصلت إلى شيء ما يا زعيمى ؟
ازداد بريق عيني (فوستر) ، وهو يقول :
- بالطبع يا عزيزي (داني) .. بالطبع .
ثم نهض من خلف مكتبه ، مستطرداً :
- دع رجال الشرطة يواصلون مطاردتهم لحصوننا
يا (داني) ، ولتعمل نحن بأسلوبنا ، وسنرى من يربح اللعبة في
النهاية .. من يربحها في رأيك ؟
ابتسم (داني) قائلًا :
- هل تسألني ؟
كان الجواب يحمل الكثير من الثقة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد
بقى السؤال فوق رموس الجميع ..
من يربح اللعبة في النهاية ؟ ..
من ؟ ..

لم تنجح (ملى) في قفلاتها ..
لم تمكنها عضلاتها الأتلية الضعيفة من عبور هذه الأمتار
الثلاثة بفلفة واحدة ..
ورأت نفسها تسقط ..
تسقط من ارتفاع عشرة أمتار ..
والتصقت عليها في رعب ، وأطلقت صرخة فزع ، وهي تمد
يدها لتثبت بأي شيء ، أو أي شخص ، أو ..
وفجأة أمسكت يد قوية معصمها ..
يد ذات أصابع حديدية ، أحاطت بمعصمها في قوة لتمسكها من
المقوطة ..
كانت أصابع (حسان) ، الذي تثبت بحافة السور بيده
اليسرى ، وهو يقبض على معصمها بيده اليمنى .
وشمرت (ملى) بالأم شديدة في يدها ، وهو يجذبها إليه في
قوة ، هاتفاً :
- أعطت نصف العثر فحسب .
نجح في رافعها ، بجذبة واحدة ، إلى حافة السطح ، فتشبثت
بها ، وجذبها هو مرة أخرى بكل قواه ، لتجد نفسها رائدة على
السطح ، وهي تلهث في قوة والفعال ، وهو يقول في خفوت :
- اهتدي .. لقد انتهت كل شيء .. لقد لجوت .
لالت بصوتها اللاهث :
- لقد .. لقد ألتفتت حياتي .
ابتسم ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :
- يمسكني أن لفتت .

ثم غمز بعينه ، مستطرداً :
 - ولعلنا سنضطر للتصريف ، قبل وصول رجال الشرطة
 للأسف ،
 لومات برأسها إيجاباً ، وهي تنهض في تهالك ، قائلة :
 - أتعلم هذا .. أعلم هذا ،
 حاولها على النهوض في رفق ، ولقد هنا نحو باب المصطح ،
 قائلاً :
 - سيكشفون أمر قتلنا إلى هنا ، بعد خمس دقائق على الأكثر ،
 والمفروض أن لنجح في الاعتماد عن هذا بالمضي سرعة ، قبل هذه
 الدقائق الخمس ،
 قالت في ضلوت :
 - سأنزل قصاري جهدي ،
 لم تدر لماذا بدأ لها - في هذه اللحظة بالذات - شديد الشبه
 به (أدهم صبري) ؟
 ربما لأنه أنقذ حياتها ..
 أو لأنه كان هنوماً رقيقاً ..
 أو لسبب لم تتركه بعد ..
 المهم أنها شعرت ، وهي تهبط معه إلى الطابق السفلي ، في
 الشارع السفلي ، وكأنها تمير إلى جوار (أدهم) نفسه ..
 وعندما بلغا ذلك الطريق ، خلف البداية الضخمة ، أشار إلى
 سيارة متوقفة ، إلى جوار المبني المجاور ، قائلاً :
 - ها هي ذي وسيلة المواصلات ، التي ستتقلنا بعدها عن هنا .
 سأنته :
 ٩٠٩



يد ذات أصابع حديدية ، أحاطت بمعصمها في قوة تمنعها من القوط

- وكيف ستحصل عليها ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

- الضرورات تبيح المحظورات يا عزيزتى . إننا سنمررها بالطبع .

عطت شفتيها ، قائلة :

- هذا يشعرنى بالإثم ، ولكنك على حق .. الضرورات تبيح المحظورات .

أخرج من حزامه أداة رفيعة ، بمنها فى ثقب مفتاح باب السيارة ، وأخذ يعالجه فى هدوء ، حتى سمعت (منى) تكة طافئة ، قال (حسام) بعدها :

- ها هى ذى .

ثم فتح الباب فى حرص ، وفعلت يده فى سرعة ، تضغط زر الإضاءة داخل السيارة ، قبل أن يطلق جهاز الإنذار ، الذى يضيقه الأمر يكون عادة إلى سياراتهم ، وقال لـ (منى) :

- هيا .. أسرعى إلى الجانب الآخر .

جلس خلف عجلة القيادة ، ورفع سيارته عن زر الإضاءة ، وهو يفتح الباب فى سرعة ، ثم ضغط زر الباب الآخر ، وفتحته لـ (منى) ، التى جلست على المقعد المجاور له فى سرعة ، وأغلقت بابها بدورها ، وقالت فى ارتياح :

- لم يطلق جهاز الإنذار .

تمتم وهو ينتزع بعض الأسلاك ، من لوحة العدادات :

- لحسن الحظ .

أوصل الأسلاك ببعضها البعض ، فاشتعل المحرك ، واعتدل هو بمسك عجلة القيادة ، قائلاً فى حزم :

- إلى منزلنا الأمن ، دون توقف .

انطلق بالسيارة فى هدوء ، وصبر الشارع الخالى إلى الطريق الدائرى ، وواصل طريقه دون مشاكل ، حتى أن (منى) شعرت بارتياح شديد ، واسترخت فى مقعدها ، وتركزت جفنها علىوى ينزلق فى إرهاب ، فابتلى بجفنها السفلى ، ويتركبان معاً وهى تمسكهما فى رفق ، وألقى (حسام) نظرة مشقة عليها ، ثم واصل طريقه وسط السيارات الأخرى فى هدوء ، خفية إيقاظها ..

ثم ظهرت سيارة شرطة فى مفترق الطرق ، وهى توقف السيارة القادمة كلها ، لتفحص أوراقها وأوراق ركبها ، فالتفت حاجباه فى توتر ، وهو يتعلم :

- الآن تنتهى هذه القيلة أبداً ؟

انضم إلى طابور السيارات فى بساطة ، وترك رجال الشرطة يلمصون كل السيارات التى أمامه ، حتى حان دوره ، فالترب منه رجل الشرطة ، يقول :

- أوراك يا سيدي .

ابتسم قائلاً :

- أتريد أوراقى حقاً أيها الشرطى ؟

قال الشرطى فى صرامة :

- لا وقت لهذا المزاح يا سيدي .. أبزر أوراك على وجه السرعة .

هز (حسام) كتفيه ، وقال :

- حسناً .. ما كنت تكره المزاح ، فليمن أمامى سوى ..

ضبط نواصة الوقود فى سرعة ، مستطرداً :

الفرار .

الطلقت السيارة على نحو مباغت ، وارتطمت بجانب سيارة الشرطة ، ثم اندفعت مبتعدة في سرعة ، وصاح رجل الشرطة : وهو يصوب مصلحه إليها :

« إنه هو » ألهما التهاريان ،

التفتت (منى) على صوت الرصاصات ، والتي أصابت احداها زجاج السيارة الخلفي وحطمته تحطما ، فهتفت في ذعر :
« ما هذا ؟ »

أجابها (حسام) في هدوء ، وهو يراوح بسيارته في مهارة ، مبتعداً عن دائرة الحصار :

« وأصلي نومك أيتها الزائدة .. إنه مجرد كمين آخر ، تجاوزناه في نجاح .

التفتت لتطلع إلى الزجاج المكسور ، قائلة :

« أئن ينتهي هذا ؟ »

ابتسم قليلاً :

« ألفنا تجاوزنا دائرة الحصار . هذا لو أن رجال شرطة (ليوبورك) ، لم يطؤوا كثيراً أساليبهم ، التي تربتوا عليها الإدارة ،

قالت وهي تعتدل :

« ولكنهم سيبلغون أوصاف هذه السيارة للجميع .

أجابها في هدوء :

« إنه أمر أبسط مما تتصورين ،

وصفط فرامل السيارة ، مستطرداً :

« سنتركها لهم .

أولف السيارة ، وطارها بنفس وسيلة دخولها ، دون أن ينطلق جرس الإنذار داخلها ، وابتسمت (منى) . وهي تقول :

« هل سنمضي سيارة أخرى ؟ »

قال في صمطة :

« لماذا ؟ » إننا سنفعل مثل أي نيويورك محترم .

ورفع صيافته ، مستطرداً بالتمسمة مرحة

« سنستقل سيارة من سيارات الاجرة

ساراً في هدوء إلى شارع آخر ، وهناك استقلا سيارة من سيارات الاجرة الصغرى ، إلى منطقة قريبة من منزلهما الآمن ، ومن هناك واصلا طريقهما سيراً على الأقدام ، عبر عدد من الطرق المتشابكة ، حتى بلغا شقتيهما ، ولم تك (منى) تكتمج قهقرياً ، التي تضم الشقة ، حتى طالت في ارتياح بالغ أخيراً

ابتسم (حسام) ، قليلاً :

« يسهلني أن يروى لك المكان ، فسنبسط لقضاء بعض الوقت فيه ، حتى نجد وسيلة أخرى ، لبلوغ موضع (هارولد) ، وإنقاده من أيدي هؤلاء الاوغاد .

صافته وهما يصعدان إلى شقتيهما :

« أنظنا سلج وسيلة أخرى ؟ »

أجاب في حزم :

« إنني لا أملك الأمل قط .

بلغا الشقة ، وفتح هو بابها ، وقال في مرح :

.. تفضلنى يا أميرتى ..

دخلت إلى المكان ، وامتلكت يديها نظيره مصباح القردة ، و ..
ولكن الاضواء غمرت المكان فهباءة ، مع صوت (فوستر) ،
وهو يقول في لهجة تجمع بين المخرية والشماعة :
.. ما الذى لحرككما حتى هذه الساعة ؟ .. إننا ننتظركما منذ زمن
طويل .

وكان المكان يمثل برجال المخاطرات الأمريكية ..
وبرائحة الموت .

★ ★ ★



١٠ - السقوط ..

كان وقع الملاجأة ، على (حسام) و (منى) قاسياً بالفعل ..
خاصة بعد كل هذا ..

لقد خاسما معا الكثير من المتاعب والصعاب ، حتى بلغا المكان
الوحيد ، الذى يتصوران أنه آمن ، فى (نيويورك) كلها ، فإذا
بهما يسقطان فيه ، فى أيدي خصومهما ..

وفى وجهيهما ، ارتفعت طوهمات عشرة مدافع آلية ، وبينها
بنت البتامة (فوستر) الشامخة الساخرة ، وهو يقول :
.. مرحباً يا عزيزى (داليد) . مرحباً يا عزيزتى (ليا) .. بآية
لغة تحدثتما ، غنم دخلتما إلى هنا .

أجابته (حسام) فى حلق :

.. استمتع بنفسك أبها العبرى .

ابتسم (فوستر) ، قائلاً :

.. إنها ليست العبرية على أية حال .

حاولت (منى) أن تصبغ صوتها بنبرة ارتياح ، وهى تقول :
.. بالطبع . إنه ليست العبرية .

وأثمرت محاولتها جيداً ، فقد رمقها (فوستر) بنظرة حادة
طويلة ، قبل أن يقول فى بطء :

.. إنكما تتحدان عدم التحدث بها .. أليس كذلك ؟

أشاحت بوجهها ، دون أن تجيب ، مما عمق الفكرة داخله ،
فقال فى صرامة :

- مستسببان خرجاً شديداً لغولتكما
أجابه (جسام) في برود :
- ليس هذا من شئتكم .

نهض (فوستر) من مقعده . وأخرج من جيبه سيجاراً
منظماً ، فضم طرفه ، ثم وضع الطرف الآخر بين شفتيه ، وأشار
إلى أحد رجاله ، فأمره بشعله له ، ونطت هو مده لهما عميقاً ،
قبل أن يقول :

- أتعلمان .. أنني لا أؤمن في الواقع ، فمن الخطأ - كما
تعلمان - أن يرتبط أحد العاملين في مهنتنا بالعادات السيئة ، مثل
التدخين ، واهتمام الخمر ، وتناول المأكولات ، وغيرها ،
فهذا يضر من قدراته ، و...

فقاطعته (جسام) في سكرية مريرة :
- أين الضروري أن نستمع إلى نصائحه الغالية ؟ .. إلا يمكن
إعدادنا مائة مرة ؟

صمت (فوستر) لحظات ، وهو يتأمل إليه ، ثم قال متوحداً
بكفه :

- لا .. لستما مضطرين لهذا ،
ثم اعتدل ونطت دخان سيجاره مرة أخرى ، مستظرفاً .
- إنني أحفل بانتصاري عليكم فحسب .

قال (جسام) ساكناً :
- وهل بدلتك هذا إلى انتحال شخصية قاطرة بخارية ؟
بدا الضيق على وجه (فوستر) ، وهو يقول :

- أنت وقع لكثير مما ينبغي .
ثم عاد بلوح بكفه ، مستظرفاً :

- فليكن .. ستفجع ثمن وقاحتك هذه فيما بعد ، أما الآن
فلاقتكما نلتفلس على معرفة كيفية توصلي إليكما .

قالت (ملي) في برود :
- هذا الأمر لا يهمنا قط .
واجهها قائلاً :

- كذب .. أنت امرأة . وكل النساء يمتدّن بالفضول ،
ولا يمكنهن كتمان فضولهن أبداً .

قالت في حزم .
- فيما عداي .
كرز في صرامة .
- كذب .

ثم راح يسير أمامهما ، وهو يواصل :

- عندما تطقت الأمور ، رحلت أبحت عن وسيلة منطقية
للغور عنكما ، وعندئذ تلمرت أن أجهزة الفحص في منزلي ،
كانت قد أثبتت أن (لها) لم تكن تجعل معها أجهزة تصنت ، عندما
دخلت المنزل . فمن أين أتت بالجهازين ، اللذين زرعتهما في
حجرة مكنتي ؟ كان الجواب المنطقي الوحيد هو أنها أحضرتهما
من النافذة الوحيدة بالحجرة .. ورحلت أتخيل عزيزتاك (لها) ،
وهي تفتح النافذة ، بعد أن غابت أنا بالحجرة ، بسبب قصة
القبلة السخيفة . ثم يذهب إليها شخص ما جهازاً لتصنت عبر
النافذة .. نعم . كان هذا منطقياً ، والوسيلة الوحيدة ، التي
يمكنها بلوغ نافذة الحجرة ، دون أن يفتبه (لها) رجالاً ، هي سهم
مثلاً . سهم عادي يطلقه شخص بجهد استخدام القوس والسهم .

اعترفت (مسي) بذكاء (فوستر) الشديد ، عند هذه النقطة ،
ويأتى يستحق عن جدارة لقب (تطلب المخاطر) ، الذى اشتهر
به ، واستمعت إليه بمزيد من الاهتمام ، وهو يتابع .

- كان هذا ينقلنا مباشرة إلى السورال التالى ، وهو : من أية
نقطة يمكن إطلاق مثل هذا الصمغ ، لبلوغ نافذة حجرة مكتبتي ؟
وكان الجواب بالغ البساطة .. إنه إحدى شقلى البناية المواجهة
لمنزلى تماماً . وهنا أصبحت المشكلة بالغة البساطة . يكفى أن
لسأل حارس البناية ، عن أصحاب الرسمين ، اللذين وضعهما
أحد خبراء الإدارة ، لتعلم أية شقة تحتلان ، وتصل إليكما بهذه
السهولة .

النتهى من حديثه ، واهتمامة الزهو والثقة تملأ وجهه كله ، ثم
ساد صمت تام داخل المكان ، قطعه (فوستر) ، وهو يسأل
(حسام) :

- ما رأيك ؟

أجابه (حسام) فى برود :

- الواقع أتنى أفضل الفلام (شارلى شابلن) (*) .

قال (فوستر) فى سخرية :

- من المؤسف أنك لن تجد الكثير منها فى السجن

بدا شبح اهتمام على وجه (حسام) ، وهو يقول -

(*) (شارلى شابلن) (1894 - 1977 م) مخرج وممثل وصانع سينمى
أمريكى ، من أصل بريطانى ، ابتكر ولحقه من أفضل الشخصيات الهزلية السينمائية ،
وهي شخصية (شارلى المصنوك) فى سنوات السبعينات الصاعدة وهي شخص هزول
ضئيل يحاول بشما التقلب على مشكلات شعبه مسيحية ، من أشهر أفلامه (البحث
عن الذهب) ، (أسوء المدينة) ، (العصر الحديث) ، (الديكتاتور)

- هل تراهن ؟

ونجأة انقض (حسام) على (فوستر) ، واحاط عنقه بذراعه

اليمرى ، فى نفس اللحظة اتى استل فيها مستنصه بيمناه ،
والصفه برأس الرجل ، هاتفا فى سخرية :

- أخطأت بمحاصرتك للعملة بأرجل . كان ينبغي أن تأمر
رجالك بتفتيشنا أولاً .

تحلزل رجال (فوستر) لإطلاق النار ، ولكن (حسام) صاح بهم
فى صرامة :

- حذار أن يتحرك أحدكم ، وإلا انفجر رأس زعيمكم الوغد هذا
كبالون كبير .

هتكت (مسي) بالإنجليزية :

- أوصيت .

وقال (فوستر) فى حلق :

- لتفكره مستريح هكذا ؟

أجابه (حسام) فى صرامة :

- نعم .. أنقلنى سافعل ، فإن يجرؤ أحد أوفادك على إطلاق
نار ، وأنا أصنع منك برغا .

قال (فوستر) فى حدة :

- لن يمكنك الفرار هنا ، حتى لو احتفظت بى كرهينة .

شد (حسام) من ضغط ذراعه على عنقه ، وهو يقول :

- دع هذا لى .

أجابه (فوستر) فى غضب :

- ولى أيضاً يا فتى .

وفجأة ارتفعت يد (فوستر) ، لتمسك بمصم (حسام) ، في
 اليد الممصقة بالمسدس ، وترفع لوحة المسمم عاليا ، ثم دافع
 مرطلي ذراعه الأخرى في معدة (حسام) ، وتزلق بجسده متحرزا
 من ذراعه ، وملقيا نفسه أرضا ، وهو يصرخ -
 - الآن يا رجال -

والطلقات رصاصات مدافع رجاله :
 الطلقات كلها نحو (حسام) ..

وفي هذه المرة ، استقبل جسد البطل معظم الرصاصات ، التي
 انزلت جسده من مكانه ، وضربته بالحائط ، قبل أن يسقط على
 وجهه ، مع صرخة (عيسى) :
 - لا .. لا ..

رأت الدماء تسيل من جسد (حسام) ، الذي انتفض في قوة ،
 ثم طمعت حركته تماما ، فعادت تصرخ :
 - لا .. لا ..

ثم سقطت منهارة ، وهي تبكي في حرارة وللم .
 أما (فوستر) ، فقد اندفع نحو (حسام) ، واتحنى بفحص
 نبض وريده العنقي في اهتمام ، ثم هتف :
 - إنه حي .

هتف أحد رجاله في دهشة :

- هي ١٩ .. بعد كل هذه الرصاصات !

تجددت الدموع في عيني (عيسى) ، وهي تحلق في جسد
 (حسام) في دهشة وأمل ، في حين فحص (فوستر) جسد
 (حسام) في سرعة ، قبل أن يهتف :



١٩ (فوستر) ، فقد اندفع نحو (حسام) ، واتحنى بفحص نبض وريده
 العنقي في اهتمام

.. هجبا ١١ .. إنه يرتدى قميصا واقيا من الرصاصات ، ولكن يبدو أن إحدى رصاصاتنا اخترقت جانب عنقه ، واشتركت مع ارتطامه بالعائط ، في إصابته بفقدان الوعي هذا . أسرعوا في طلب سيارة إسعاف الآن .. أسرعوا .

وهذا الطرقت (منى) مرة أخرى في بكاء حار ..
وكان طعم دموعها ، في هذه المرة ، يختلف ..
كانت سموع ارتياح للحياة (حسام) من الموت ..
وهذا هو الريح الوحيد ، في المهمة كلها ..
المهمة التي فشلت ..
فلمت تماما ..



١١ - الفشل ..

« فشلت ؟! .. »

نظفها مدير المطارات في شعوب شديد ، وهو يتطلع إلى مساعدته في ارتياح ، فأومأ بمساعدته برأسه إيجابيا في أصف ومرارة ، وهو يقول :

- نعم يا سيدي . يمكنك أن تعتبر هذه المهمة فاشلة تماما ..
لقد فشل (حسام) و (منى) في إنقاذ (هارولد) ، أو حتى قتله .
وعلى العكس ، فقد نجح رجال الـ (سى . آى . إيه) في إلقاء القبض عليهما ، وإصابة (حسام) بإصابة خطيرة . لم يستعد وعيه منها حتى الآن ، وهم يحتفظون به في مستشفى السجن المركزي ، أما (منى) ، فسيتم تقديمها إلى المحكمة ، بتهمة الجاسوسية .

سأله المدير في حزن شديد :

- وهل عرف الأمريكيون هوية (حسام) و (منى) ؟
أجابته بمساعدته :

- لا يا سيدي .. وهذه هي النقطة الوحيدة في صالحنا ، في العملية كلها ، ولكنها نقطة مؤقته ، لأن بلهث الأمريكيون أن يكتشفوا أمرهما ، مع مرور الوقت .

زجر المدير في مرارة ، وهز رأسه ، قائلاً :

- أعلم هذا .. إنها مسألة وقت .. مسألة وقت فحسب .

ثم رفع عينيه إلى مساعده ، مستطرذا .

- أعلمت الآن لماذا كنت القُر (أدهم صبرى) ؟

فطلب المساعد حاجبيه ، وقال :

- وماذا كان (أدهم صبرى) سيقول ، فى مثل هذه الظروف ؟

قال المدير :

- الكثير .

ثم خفض عينيه ، مستطرذا فى أسى .

- ولكن لكل شيء نهاية . لقد مضى عصر (أدهم صبرى) ..

مضى إلى الأبد ..

« أنت متهمه بالتجسس على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية .. هل تعترفين بالتهمة أم ترفضونها ؟ »

وجه قاضى المحكمة الفيدرالية هذه العبارة لـ (منى) ، فى صرامة واضحة ، فرفعت (منى) إليه وجهها الضاحك المتهاك ، وقالت :

- أرفضها بالطبع ، فلم أت إلى هنا للتجسس

سألها فى صرامة .

- لماذا تخفين حقيقة جنسيتك إذن ؟

لجأته بصوت متعجب مكثود :

- هذا شأنى .

رفعها القاضى بنظرة ازدراء ، وكأنها لم يرد له جوابها ، ثم

سألها

- هل يمكنك توكيل محام للدفاع عنك ، أم تتدب لك المحكمة

محاميا لهذا ؟

لجأته فى رأس

- فلتتدب المحكمة من تشاء .

كانت القاعة خالية تماما ، إلا منها ، ومن رجلين مخابرات أمريكيتين ، والقاضى والحاجب ، وكاتب الجلسة ، فلم تكن جلسة محكمة ، وإنما كانت جلسة تحديد موعد وتويع المحاكمة ، لذا فقد قال القاضى فى حزم .

- سيتم المحاكمة بعد أسبوعين من الآن . وستتدب هيئة

المحكمة محاميا للدفاع عنك ، وإلى هذا الحين ، تأمر بحبسك

احتياطيا ، فى السجن الفيدرالى

كانت قد سمعت لكثير عن السجن الفيدرالى ، وتعلم أنها

منفصى فيه أسوأ أسبوعين فى عمرها كله ، ماتم نقض فيه كل

عمرها هذا

ولم يكن لديها ما تفعله .

لقد هُشنت المهمة ، ووقعت فى أيدى خصومها .

لقد ولجعت أخيرا ما كانت تخشاه طيلة عمرها .

وفى استسلام تام ، تركتهم يحصلون على بصماتها .

وتخربونها إلى السجن الفيدرالى الرهيب ، وعندما أبدت شيابها -

بثوب السجن الرمادى الكتيب ، سألها مأمور السجن :

- هل ترغبين فى شيء قبل دخول زنزانتك ؟

كانت تعلن رفضها الحصول على أى شيء ، إلا أنها لم تلبث أن

تذكرت أمرا ما ، بحث فى نفسها شيئا من الأمل ، فترددت لحظة ،

ثم قالت :

- إن لى الحق فى إجراء معاهدة هاتفية واحدة ليس كذلك ؟

أجابها مأمور السجن

- نعم .. لك الحق في هذا .

تردنت مرة أخرى ، ثم سألته :

- ألي الحق في طلب هذه المجانية ، عبر المحيط ؟

تبادل مأمور السجن نظرة متسلطة مع ذاكه ، الذي قال :

- القانون لم يحدد مدى المجانية .. نعم الآن من حلك هذا .

سألته في حزم :

- وهل من حلي ألا يستمع أي مخلوق للمجانية ؟

أجابها المأمور :

- هذا من حقل تماثا .

شعرت بالارتياح ، وهي تقول :

- في هذه الحالة أريد فتحت هاتفنا ، عبر المحيط .

كان هذا هو أملها الوحيد ..

والأنخير ..

تهالك (هارولد) تماثا ، فوق ذلك المقعد الضخم ، الذي قُود

رجال الـ (سى - آى - إيه) أطرافه إليه ، والذي اتصلت به عدة

أسلاك كهربية طويلة ، تنتهي عند جهاز في حجم منضدة صغيرة ،

جلس خلفه أحد الرجال ، الذين يرتدون المتأطير السوداء ، ولقد

بدأ صرير أزراره بسببته في ترارح ، فقلأ :

- هيا يا عزيزى (هارولد) .. إنك رجل صلب بحق ، لقد

احتملت الكثير حتى الآن ، واستطعت كتمان سره في أعمالك ،

ولكنك بشر يا عزيزى .. مجرد بشر ، ومهما بلغت قدرتك على

الاحتمال ، فستنهز حتما وتتعرف .. صدقنى .. لقد شاهدت

عشرات مثلك ، في نفس الموقف .

قال (هارولد) في تهالك :

- ما تعلمونه من غير قانونى .. ستعالجون من أجل هذا .

أبتسم الضخم في سخرية ، وهو يقول :

- فوسر قانونى ١٢ .. يالك من غر سبالج يا عزيزى

(هارولد) .. ألم تتعلم شيئا بعد ، من إقامتك في (أمريكا) ، أو من

العمل معنا ؟ ليس المهم هنا أن يكون الصل قانونيا ، أو غير

قانونى يا (هارولد) .. المهم أن يمكنك إثبات هذا .

قال (هارولد) :

- أنتم أولاد .

تسعت ابتسامة الضخم ، وهو يقول :

- أنت على حق يا عزيزى (هارولد) . أنت على حق .

وفي هدوء ، لخص أزرار الجهاز ، فالتفت جسد (هارولد)

في قوة ، وتضلعت أسنانه في وجه صرخة ألم مكتومة ،

استغرقت ثواني معدودة ، قبل أن يرفع الضخم سببته عن الزر ،

فقلأ بالبتسامة متطفية :

- هل يدرك لك هذا يا (هارولد) ؟

تهالك (هارولد) تماثا مرة أخرى ، وتصنّب على جبينه عرق

خزير ، في حين أطلق الضخم ضحكة صالية ، وقال :

- لمسة بسيطة لأحد الأزرار ، ويسرى في جسدك تيار كهربي

محصود ، قد لا يكفى لكذلك ، كما يحدث في الإعدام بالكهربى

الكهربائى ، ولكنه مثالى لتقبض كل عضلة في جسدك ، مع الأم

رهيبة .. لمسة واحدة يا عزيزى (هارولد) .

قال (هارولد) في انهيار :

.. إنها لمسة شر .. مستدفعون ثمنها غائبا

عنه الضمض ضاحكا مرة أخرى ، وقال :

.. ندفع ثمنها ؟؟ .. من الواضح أنك لم تفهم بعد يا (هارولد) .

ولم يمس الزر مرة أخرى ، فإطلق (هارولد) صرخته المكتومة ،

وراح جسده يلتفض في علف ، قبل أن يرتفع صوت صارم في

الحجرة ، قائلا :

.. كلي .

رفع الضمض سنابته عن الزر في سرعة ، وانهار (هارولد)

على مقعده ، و (داني) يقول في غضب :

.. ماذا تفعل يا رجل ؟؟ .. هل نسيت من أنت ، وماذا تفعل هذا ؟؟

إنذا جهاز مقابرات محترم ، يقوم باستجواب عميل غائب ، ولستنا

مجموعة من اللاربيين ، نستمع بتعذيب أسير .

أ ، نيك الضمض ، وهو يلهض قائلا :

.. لم أقصد هذا يا مستر (داني) . ولكن ..

فأطعته (داني) غائبا :

.. من الواضح أنك تحتاج إلى علاج نفسي يا رجل .

أزداد ارتباك الضمض ، وهو يقول :

.. ليس إلى هذا الحد يا مستر (داني) .. فواقع أنني ..

فأطعته (داني) مرة أخرى في حزم صارم .

.. انذهب يا رجل .. عد إلى الإمارة ، فقد تم إعطائك من هذه

المهمة .

بدا الضمض على وجه الرجل ، كما لو كان طفلا ، انتزعته منه

لعبته المفضلة ، وألقى نظرة محتقة على الجهاز ، وأخرى على

(هارولد) ، قبل أن يقول :

.. كما تأمر يا مستر (داني) . كما تأمر .

وغامر الحجرة في خطوات سريعة حاسمة ..

وللوان ، بعد مفارقة الحجرة ، صاد صمت تام في المكان ، ثم

اتجه (داني) إلى حيث يجلس (هارولد) ، ورثت على كتفه .

فأثلا :

.. كيف حالك ؟

قال (هارولد) في مرارة :

.. ياله من سؤال صلب !

عط (داني) شففيه ، وقال :

.. أعلم أنك تمكنت ما لمعتك بك يا عزيزي (هارولد) .. ولكن

ما فعلنا نحن . أنت أجبرتنا على هذا بعد ذلك وإصرارك على كتمان

الأمر .

قال (هارولد) في ضغط :

.. هناك وسائل قانونية .

ابتسم (داني) في سخرية ، وقال :

.. قانونية ؟؟ .. اه .. بالطبع يا عزيزي (هارولد) .. هناك

وسائل قانونية .

ثم اتجه نحو الجهاز الرهيب ، ورفع سنابته أمام وجهه .

مستظربا :

.. وهناك وسائل أفضل .

ارتجف (هارولد) هذه المرة ، وهو يتصور سنابته (داني)

تلمس الأثرار ، وتطلق في جسده تلك التيار الكهربائي المولم ..

إنها أكثر لمسة يكرها ويمقتها ، في لكون كله ..
لمسة الشر .

والأثم ..

والعذاب ..

وفي تهالك ، قال (هارولد) :

- لا يا (داني) .. أرجوك .

برقت عينا (داني) ، وهو يقول :

- كما تأمر يا عزيزي (هارولد) .. يكفي أن تطلب هذا .

ثم أرتد باهتمام غيصة :

- ولكن ما المقابل ؟

أترك (هارولد) ما يقصده (داني) ، فقال في مرارة :

- اذهب إلى الجحيم .

قال (داني) في برود :

- هكذا ؟

ثم لمس الزر في هدوء ، ورأى (هارولد) يلتفتض أمامه من

الأثم ثوبين ، قبل أن يرفع سبابته عن الزر ، فهتاك (هارولد)

تماماً ..

وانتظر (داني) لحظات ، حتى بدأ تصبب العرق ، على جبين

(هارولد) ، ثم قال في هدوء :

- المؤلف يا عزيزي (هارولد) هو أن إصرارك هذا لن يحد

كثيراً

وأخرج من جيبه صحيفة (نيويورك تايمز) ، للصبرة في

الصباح نفسه ، واتجه إلى (هارولد) ، وفردا أمامه ، قفلاً .

- اقرأ هذا الخبر .

فتح (هارولد) عينيه في صعوبة ، وقرأ في أسفل الصفحة

خبراً ، يشير إلى القاء القبض على جاسوسين أجنيين ، ثم تتحدث

جنسيتها بعد ، مع صورة لـ (حسام) ، وهو يركض في المستطيل

فائق السرعة ، وأخرى لـ (مسي) ، بين أيدي رجال الشرطة

الطهرانية ، و (داني) يقول :

- أراهن أنك تعرفهما يا عزيزي (هارولد) ، فهما من

مواطنيك ، وكنت مهتماً في الغالب .

الفتى (هارولد) نظراً أخرى على الصورتين ، ولكنه لم

يتعرفهما ، كما يتصور (داني) ..

لقد قضى أكثر من نصف عمره ، في الولايات المتحدة

الأمريكية ، لا ينقص إلا رجل واحد ، من رجال المخابرات

المصرية ، ولا يعرف سواه ..

أكثر من صديق خاص ، قضاهما منظمنا في المجتمع

الأمريكي ، محاولاً مد جنوره في أصالة ، والتلون بصيفته ، حتى

كاد ينسى اسمه المصري ، الذي لم يعد يستخدمه ، منذ ما يقرب من

ربع القرن ..

ولكن (داني) يقن أنه يعرف صاحبي الصورتين ..

هل يوافق على هذا ، أم يتكر الأمر ؟ ..

لم يكن عقله يعمل بالصفاء اللازم ، لاتخاذ قرار في هذا الشأن ،

ولكنه راح يختصر ذهنه ، للبحث عن جواب مناسب ، حتى قال

(داني) :

- لقد وقعا في أيدينا ، وإن ثبت أن تكشف أمرهما تماماً .

ولاحصل على اخر الفات صريحة منهما ، قد تتسبب في إثارة أزمة
ديبلوماسية ضخمة ، بيننا وبين (تل أبيب) . اهلى بين دولتنا .
صمت (هارولد) تماما ، ولم يجر جوابا ، وطاق صمته بعض
الوقت ، فانقضى (داني) الصحيفة جتها ، وقال :
- فليكن يا عزيزي (هارولد) .. إنك تصطرنى الى التعامل
معك بذلك الأسلوب ، الذى تبغضه .

وانته الى الجهاز ، وقال :

- أسلوب نمس الأضرار .

هتف (هارولد) :

- لا .. أرجوك .

قال (داني) في شراسة ، تمتزج بشيء من الحماسية .

- اعترف انى يا (هارولد) . أغبرنا ما نريده منك ، فليتهى كل
شيء على الفور .. هيا يا (هارولد) . أنت الذى يملك إنهاء كل هذا .
فلزت الى ذهن (هارولد) مشاهد عديدة ، أشبه بشرط
صينمالي متصل ..

مشاهد من طفولته بـ (مصر) ..

وصباه ..

وشبابه ..

ثم مشاهد من عمله فى (أمريكا) ..

وامتزج هذا بذاك ، وارتبك ذهنه لحظات ، فراح يمسح جبهه بعددها .
وهو يقول فى مرارة :

- سأعترف يا (داني) .. سلفبرك بكل ما تريد معرفته .

وفى استسلام تام . راح يروى كل ما لديه .

وبكل التفاصيل .

★ ★ ★

١٢ - عبر المحيط

مط مساعد مدير المطابعات المصرية شفتيه ، وهو يطالع
الخبر المنشور فى (نيويورك تايمز) ، ثم طوى الصحيفة ،
وأزاحها جتها ، وهو يقول :

- اتهم بتهاون بفوزهم .

أشاح المدير بوجهه فى ضيق ، مغمضا :

- من حق المنتصر أن يفعل دائما .

قال مساعده فى حنى -

- واللاو غاد !

ثم لوح بكفه ، مستطردا .

- وهل سنترك رجالنا هكذا ؟

التفت إليه المدير ، ومثله :

- وماذا يمكننا أن نفعل ؟

هتف المساعد :

- نحاول إنقاذهم .. تساعد على الفرار . أو نرسل إليهم

محاميا على الأقل

صمت المدير لحظة ، ثم قال :

- سأفرض هذه الاقتراحات .

وشرد بهصره لحظة ، قبل أن يستطرد .

- ولكن من الضرورى أن يتم أى إجراء نتخذه فى صمت ،

ودون الإشارة إلينا من قريب أو بعيد

فإن مساعده :

.. ليس هذا بالأمر الصعب .

تهد المدير ، قديلا :

.. هذا ما نطلبه .

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى نافسته ، وراح ينطلع منها لحظلة ، قبل أن يضرب :

.. إنها ستكون عملية جديدة ، نحتاج إلى المزيد من الرجال ، ومن الخطط الجديدة ، ولكن الأمر الوحيد المؤكد ، هو أننا لن نتخلى أبدا عن رجالنا ، مهما كان الثمن .. لن نتخلى عنهم قط .

كنتم (نكرو) دموعه في صعوبة ، وهو يقرأ تلك الخبر ، الذي يحمل صورتي (مني) و (حسام) ، ثم ألقى للصحيفة جانباً ، وهو يقول في حلق :

.. اللعنة !

كانت دموعه تقابل لتلهم من عويله ، مع ذلك الشعور العام بالمرارة ، الذي يملأ نفسه ، ويكاد يفيض من ملامحه وعروقه .. إنه لم يعد يحتمل ..

لم يعد يحتمل تلك العالم البقيض ، الذي يحيا فيه ..

عالم الصراعات والتشوير ..

قاوم دموعه أكثر وأكثر ، وحاول أن يتشاغل في بطاقة جديدة ، من البطاقات الصرية للمخابرات المركزية الأمريكية . كان (هارولد) قد أرسلها إليه منذ شهر أو يزيد ، ليحاول تزويرها ، وصنع بطاقات شبيهة ..

ولكنه لم يستطع ..

كانت أصابعه ترتجف ، وعيناه تقيمان بدموع حبيسة ..

وهو شخص عاطفي ..

عاطفي أكثر مما ينبغي ..

وأكثر مما يحتمل العمل في مجاله ..

وعاطفته هذه تؤلمه ..

تحطمه ..

تقتله ..

عسى حلقه مرة أخرى بالتموج ، وهو يداوم ويقول ..

ما الذي ربحه من هذا العمل ؟ ..

صحيح أنه أشهر خبير تزوير معروف ، ولكنه أنتصر رجل في الدنيا ..

إنه يفقد أصدقاءه ، وأحذا بعد الآخر ..

في البداية هصر (حازم) .. (*)

ثم (أنهم) .. (**)

(أنهم) ، الذي لم يرتبط بمخلوق في حياته كلها ، مثلما ارتبط به ..

(أنهم) الرقيق ، المهذب ، اللبق ، الطنون ..

وهنا عجزت عيناه عن حبهن بدموعهما ، مع نكرو (أنهم) ، فهتفت في مرارة :

.. القنصة ! .. لعنا أقاوم ؟

(*) راجع قصة (الرصاصة الذهبية) . المظفرة رقم (١٧)

(***) راجع قصة (وكر الإزعاج) . المظفرة رقم (٨٠)

تفجرت دموعه الحبيمة ، وتركها تفرق وجهه ، وتساخط على أوراقه ، وهو يعتمد جبهته برأعيته ، منتحيا في حرارة .

إنه لن ينسى أبدا ذلك اليوم ، الذي بلغ فيه خبر مصرع (أدهم) في (المكسيك) ..

يومها بكى ، كما لم يبكي من قبل ..

صحيح أن أحدا لم يلمح دموعه يومها ، ولكن جدران حجرته ومعمله رأته أنهارا منها تنهمر في غرارة

ولم ينس (أدهم) أبدا حتى الآن

من ذا الذي ينسأ ؟

من ينسى أعظم رجل مخابرات في العالم ؟

الرجل الذي التحنت له أنظمة المخابرات ، في قارات العالم الست ..

من يلعماء ؟

ترك دموعه تنهمر في غرارة ، وشعر بالارتياح مع سقوطها ، وكأنها كانت تجثم على صدره وأعصابه .

اليوم أيضا فقد (ينس) ..

أخر الأصدقاء والأحبة ..

اليوم حسر لمسة الأنوثة الرقيقة ، في عالم المخابرات العنيف ..

ولجأة ارتفع رنين الهاتف ..

هاتفه الخاص المباشر ، الذي يندر أن ينطلق رنينه في حجرته ، مع قلة عدد معارفه وأصدقائه

ولوهلة ، تساءل (قنري) عن يمكن أن يتصل به ، عبر هذا الرقم بالذات ، ثم لم يلبث أن اختطف سماعة الهاتف ، قائلا :

.. من المتحدث ؟

أتاه صوت مألوف ، يقول :

.. إنه أنا يا (قنري)

لم يصدق نفسه ، فالتقطت أصابعه على سماعة الهاتف في قوة ، وهتف :

.. (منى) ؟ أهو أنت حقا ؟ كيف حالك يا (منى) ؟ .. من أين تتحدثين ؟

تفجرت دموعه مرة أخرى مع كلماته ، وسمع صوتها تقول :

.. إنني بخير نسبيا يا (قنري) ، فمازلت على قيد الحياة على الأقل ، واتحدث إليك عبر المحيط ، من السجن الفيدرالي في (نيويورك) .

شعر بالأمي لقلوبها ، وهتف محاولا بث روح الأمل والثقال في أعمالها ، ومحو الكثير من أسسها :

.. لن تستمر الأمور بهذا الموء يا (منى) .. صدقيني .. لابد أن يكون لديك إيمان بالله (سبحانه وتعالى) ، وألا يخلو قلبك أبدا من الأمل .

صمت صوتها لحظة ، ثم قالت في تردد :

.. لدى أمل واحد في الواقع يا (قنري) .

سألها في اهتمام :

.. ما هو يا (منى) ؟

ترددت لحظة أخرى ، ثم قالت في صوت يؤكد أنها قد حسمت أمرها :

.. استمع إلي جيدا يا (قنري) ، فما سأخبرك به بالغ الأهمية والخطورة .. والسرية أيضا .

والدفعات تروى مالدنيا ..
والسمعت عينا (كبرى) في نهول ..
واتسمعت ..
واتسمعت ..

★ ★ ★

لم تكاد (منى) تنتهى من إبلاغ (كبرى) مالدنيا ، وتعمد مساعدة
التهاتك إلى موضعها ، حتى شعرت بارتياح بالغ ، وكأنما أزلت
عن كاهلها حملا ثقيلا ، وأطلقت من أعماقها زفرة حارة ، في نفس
اللحظة التي دخل فيها مأمور السجن إلى حجرة التهاتك ، وسألها
في هدوء :

— هل انتهيت من مساعدتك ؟

أجابته في ارتياح :

— نعم .. شكرا لك .

تطلع إليها المأمور لحظة ، وكأنما يحاول سبر أغوارها ، قبل
أن يقول :

— أتعلمين ما سيواجهك هنا ؟

أجابته في خفوت :

— إلى حد ما .

تأملها مرة أخرى مشفقا ، ثم قال :

— صريح أنك هنا ، تحت الحرس الاحتياطي ، بتهمة التجسس ،
ولكنك في الواقع لا تبدين أبدا كجاسوسة ، وأخشى أن وجودك هنا ،
طوال الأسبوعين القادمين ، سيبدو أشبه بالجديم .
سألته :

— هل ستسره معاملتي ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

— لست أنا من سيفعل .. بل زعمات السجينات هنا .

سألته في مرارة :

— الأتني متهمة بالتجسس ؟

عاد بهز رأسه ، قائلا :

— لست ألقن هذا بعض الكثير بالنسبة إليهن ، ولكنهن يفعلن
هذا بكل قناعة جديدة ، وكأنني بهن بعض أمامها سيظهرن على
عالمهن القادر البغيض .

انهمست قليلة :

— لا تقلق من أجنبي ، في هذا الشأن .

تطلع إليها في دهشة لحظة ، ثم هز رأسه ، قائلا :

— هذا شأنك .

ثم التفت إلى مساعدته ، قائلا :

— انهي بها إلى زيارتها .

أفقت المساعدة نظرة شامتة على (منى) ، ثم دفعنها أمامها ،

قليلة في صرامة :

— هيا يا امرأة .

صارت (منى) أمامها ، عبر عمر طويل ، يضم هذا ضلعا من
الزنازات الصغيرة ، في كل منها امرأة ، تنطلع إليها بالانسامة
متشعبة ماهرة ..

وعندما بلغت المساعدة تلك الزنازاة ، المخصصة لـ (منى) ،
أمسكت معصم هذه الأخيرة في قوة ، وقالت في صرامة مرساة :

- اسمعى يا صغورتى .. من الواضح أنك تجهلين تمامًا أين أنت ، وتجهلين طبيعة هذا المكان ، ولكن من الضروري أن تعلمى أنك ، بصورتك جدران هذا السجن ، قد أصبحت كما مهملاً ، لا تساوى حياتك سوى تقرير إدارى صغير ، من بضعة أسطر ، وشاهدين من حثالة المجتمع ، وهذا يعنى ضرورة أن تتزمنى بكل ما يوجه (إليك) من أوامر ، وألا تنصى أبداً لأننى هذا الرئيسة الحقيقية ، فالأمور لنفسه لا يجرؤ على دخول هذه المنطقة .. هل تفهمين ؟ أجابتها (منى) فى برودة :

- إلى حد ما .

صاحت بها المساعدة فى خلفة :

- بل ينبغي أن تفهمى جيداً .

ابتسمت (منى) فى سخرية ، وهى تقول :

- ربما كنت بطونة الفهم .

رعلتها المساعدة بنظرة غاضبة شرممة ، ثم قالت فى تعصبة ،

- لئلا من تساعدك على معرفة الفهم .

ثم صرخت :

- (سيرينا) .

ظهرت زجاجة ممشولة القوام ، صارمة الملامح ، قوية البنيان ، رملت (منى) بنظرة قاسية ، وهى تقول للمساعدة :

- ماذا تريدين يا (هوى) ؟

أشارت (هوى) إلى (منى) ، قائلة فى لهجة أقرب إلى الشتاتة :

- هذه الأجنبية بطونة الفهم .

لأقلت حيناً (سيرينا) ، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى الجنل :

- حلاً ؟

ابتسمت (هوى) فى تشف ، وهى تقول :

- حاولى تعليمها معرفة الفهم يا (سيرينا) ، وأسرعى ، لأن

تبلى بيننا سوى أسبوعين الصب .

ضمت (سيرينا) فى سخرية :

- يا للخسارة !

أطلقت (هوى) ضحكة ساخرة ، وغادرت المكان فى خطوات

هريرة ، وهى تقول لـ (منى) فى شماتة :

- سجننا صغيراً يا فتتى .

وردت جدران السجن صدى ضحكاتها الصاخرة .

★ ★ ★

العقد حاجباً (فرانك جبر) ، مدير قسم مكافحة الجاسوسية ،

فى المخابرات الأمريكية ، وهو يطالع احتراف (هارولد) فى

عناية ، ثم لم يلبث أن ألقاه جانباً فى حدة ، قائلاً :

- هراء .. كل هذا مجرد هراء .

قال (فوستر) فى صرامة :

- ما الهراء فهو يا (فرانك) ؟ .. إنه احتراف واضح

وتفصيلى ، وهو يتفق تماماً مع وصول (داليد) و (ليا) ، اللذين

ألقينا القبض عليهما

هاتف (فرانك) :

- بل هى محاولة فاشلة ، لتوريط (الموساد) فى العملية ..

من المستحيل أن يقتضى (هارولد) هذا (الموساد) .. لن يمكنك
القاضي بهذا أبداً ، حتى ولو اعترف هو بطلبه بهذا .

رمقه (فوستر) بنظرة شك ، وهو يقول :

- ولكن الاعتراف وحده لا يكفي لا لثقتي يا (فرانك) ، أو
لتصديقه ، وأنت تعلم هذا جيداً .. لقد رجعت اعترافه نقطة نقطة ،
ووجدنا أنه يحتمل الصدق تماماً ، فكل العناوين والأسماء التى
أعلى بها ، التى كانت أماكن وأشخاص الاتصالات ، صحيحة
تماماً .

لوح (فرانك) بيده ، هاتفاً :

- أى جهاز مخابرات يمكنه معرفة هذه المعلومات ، وتنسيقها
داخل قصة زائفة ، بحيث تبدو كما لو كانت حقيقة .

سأله (فوستر) :

- أى جهاز مخابرات مثل ماذا ؟

هتف (فرانك) :

- أى جهاز .. المخابرات المصرية مثلاً .

قال (فوستر) فى بطم :

- ولم لا يكون (الموساد) ؟

لم يجر (فرانك) جواباً ، وساد الصمت لحظات ، حتى قال

(فوستر) فى صرامة وحزم :

- لماذا تتعاطف إلى هذا الحد ، مع (الموساد) يا (فرانك) ؟

صاح (فرانك) :

- أتعاطف .. لماذا أتعاطف مع (الموساد) يا (فوستر) ؟

أجابه (فوستر) فى خبث :

- ربما كنوع من الانتماء لدينى

صاح غاضباً :

- انتماء ديني ؟؟ . أتتبعنى بالتآمر مع جهاز مخابرات آخر .

يا (فوستر) ؟

هز (فوستر) كتفيه ، وقال فى دهاء :

- إننى أسأل لمصعب .

ضرب (فرانك) سطح مكتبه بقبضته ، وهتف :

- لا يا (فوستر) ! لست أتعاطف مع (الموساد) ، أو له (مى .

جى .سى) ، أو أى جهاز مخابرات آخر ، ولكننى أحاول تفهيم الأمور

بحقنى ، بدلاً من السقوط كالغز الساذج ، فى أى فخ يدانى ، بعده لى

جهاز مخابرات عربى .

قال (فوستر) فى هدوء ، وتون أبلى انفعال :

- ولماذا عربى ؟

هتف (فرانك) :

- لأنهم يحاولون توريث (الموساد) ، وأنت تعلم أنه الخصم

المنهك لكل أجهزة المخابرات العربية ، وبالذات المصرية

والمصرية .

قال (فوستر) ، وهو يضغط حروف كلماته فى شدة :

- أريد فكرة واضحة .

صاح (فرانك) -

- أقم تر هذه الفتاة ؟ .. أتبدو لك سرائيلية ؟

قال (فوستر) :

- لا يوجد ما يمنع كونها كذلك .

انعتقد حاجبا (فرانك) في شدة، وهو يقول :

- أنا وأنت من أنها ليست إسرائيلية .

نهض (فوستر) ، وقال :

- إنها وجهة نظرك يا عزيزي (فرانك) . وسأحترمها تماما .

ثم استندرك في حزم :

- على أن تحترم وجهة نظري .

تراجع (فرانك) في ملعده ، قائلا :

- وما وجهة نظرك أيها العبقري ؟

أجاب (فوستر) ، وهو يستدير متصرفا :

- لقد فعلها الإسرائيليون من قبل يا صديقي ، وزرعوا بعض

جواسيسهم بيلنا ، ولست أستبعد أن يفعلوا هذا ثانية .

لم يجب (فرانك) ، وإن بدا وكأن حاجبيه سيتمر جان ، من شدة

التفانيهما ، وهو يتابع (فوستر) ببصره ، في حين فتح هذا الأخير

الباب ، والتفت إلى (فرانك) ، وابتسم ابتسامة خبيثة غامضة ،

وهو يلوح بيده ، قائلا :

- وستثبت الأيام صلي أحننا يا صديقي .. إلى اللقاء .

وأغلق الباب خلفه في هدوء ، لتفترق الحجرة في صمت

عميق ، قطع (فرانك) وهو يتمتم في قلق وتوتر :

- أسلوبك هذه المرة لا يروق لي يا (فوستر) .. لا يروق لي

أهذا .

صمت لحظات أخرى ، وهو يدرس الأمر في عمق ، ثم لم يلبث

أن هز رأسه في قوة . وهو يقول في حزم :

- لا يروق لي بالفعل .

واستدار يلتقط ساعة هاتف خاص إلى جواره ، وضغط

تزرؤه في بضع وثان ، وانتظر حتى سمع صوت مجذته ، فقال :

- مساء الخير يا (إيزاك) .. إنه أنا (فرانك) .. يبدو أن

(هارولد) هذا يلعب لحساب المصريين ، فهو يحاول توريطنا في

الأمر .. نعم .. لقد علمت هذا الآن فقط .. من (فوستر) نفسه ..

من الضروري أن ترسل الفضل رجالك يا (إيزاك) ، لكشف حقيقة

(هارولد) ، قبل أن يربح المصريون اللعبة . وندفع لعن الثمن ..

الفضل رجالك يا (إيزاك) .. هل تفهم ؟

أنهى المحادثة على الفور ، وقال في غضب واضح :

- لن نسمح لكم بهذا أيها المصريون .. لن نسمح به أبدا .

وكان من الواضح أن الحرب ستتخذ هذه المرة منحى جديدا ..

منحى بالغ الطعنة .



١٣ - العودة ..

هربت الشمس في (كياوا) ..
لم تكن أول مرة تغرب فيها في الأفق ، خلف ذلك الجدول ، الذي
يشق المزرعة ، وتكن (أدهم) شعر بالحزن مع غروبها ..
ولم تكن أول مرة يخرج فيها لمشاهدة ذلك الغروب ، ولكنه في
كل مرة كان يشعر بالحزن نفسه ..

كان الغروب يذكره ، في كل مرة ، بغروب شمس هو ..
باعتزاله ..

وبالعزلة ..

لم يدرك لماذا اتخذ هذا القرار ؟ ..

لماذا قرر أن يعتزل العمل ، بعد زواجه - شبه الإجباري - من
(سوليا جراهام) ، وإجابها طفلة الوحيد ؟ ..

أهو شعور بالخجل ، لأنه تزوج عدوته ، وعدوة بلاده ؟ ..

إنه لم يكن يدرك ، وهو يتزوجها ، أنه يرتكب هذا الخطأ ..

لم يكن يعلم من هو ..

ولماذا يفعل ..

وعلى الرغم من هذا ، فهو يشعر بالمرارة والخزي مما فعل ..

ومن أعماق أعماق نفسه ، ومن قاع ذكرياته المريرة ، أطلق

(أدهم) زهرة حملت حرارة براكين الأرض كلها ، ثم توجه إلى

الجواري المرير الأبيض ، الذي وقف ساكنا ، وكأنما يراقب الغروب



وعلى الرغم من هذا ، فهو يشعر بالمرارة والخزي مما يفعل :

ومن أعماق أعماق نفسه ، ومن قاع ذكرياته المريرة ، أطلق (أدهم)

زهرة حملت حرارة براكين الأرض كلها ..

كصاحبه ، ووثب على مائه فى رشاقة مدهشة ، وتكره بكعبيه فى بطله ، قائلا :

.. هيا يا صديقى .

انطلق بالجواد عبر المزرعة الشاسعة المترامية الأطراف ، وقد خلا ذهنه من أية تفاعلات أو ذكريات تفرينا ، وكأنما يجد سلواه فى استنماء ذلك الجواد الأصيل ، الذى يعيد إليه شعوره بالانتماء إلى موطنه ..

ومن بعيد لاح له ذلك القصر ، الذى بنو وسط المزرعة ..
لصرد ..

ودون وعى منه ، خلف من سرعة للجواد ، وكأنما يلشى بلوغ ذلك القصر ..

كان يمقت المكان ، وبمشقه فى الوقت نفسه ..

ويله من مزيج متناقض عجيب ..

كان يمقته ، لأنه يبدو .. بالنسبة إليه - أشبه بسجن ، انحطت به قضبانها ، ومنعته من العودة إلى حياته السابقة ..

وبمشقه لأنه مسقط رأس ابنه ..

ابنه الوحيد ..

وفى بطنه ، بلغ القصر ، وترجل عن جواده ، واستقبلته (سونيا) فى توتر ملحوظ ، وهى تقول :

.. أما زلت تصر على رؤية القروب يومئذ ؟

أجابها فى صرامة :

.. هذا يدور فى ..

الخلف صوتها ، على غير عادتها ، وهى تقول :

.. إننى لم أعترض .

تحرك ليدخل إلى القصر ، ولكنها استوفقتة ، قائلة :

.. (أدهم) .. أما زلت تكرهنى ؟

لم يجر جوابا ، وإن بدا شيء من الحزن فى عينيه ، فتأملت فى عصبية :

.. ماذا أعمل لأقنعك أنتى أحبك يا (أدهم) ؟

قال فى ضيق :

.. إننى واثق من هذا تماما يا (سونيا) .

هتفت فى مرارة :

.. لماذا تكرهنى إذن ؟ .. لقد أقسمت لك إننى لم أعد عدوتك ..

إننى الآن زوجتك يا (أدهم) .. زوجتك وأم ابنك .. ألا تلهم هذا ؟

استدار يولجها ، وهو يقول :

.. أفهمه يا (سونيا) .. أفهمه تماما .. ولكننى أفهم أيضا أن

زواجنا تم بخدعة حقيرة .. أنت تعلمين جيدا يا (سونيا) أنه كان

من المستحيل أن أتزوجك ، لو لم أفقد ذاكرتى ، وأجهل من أنا ، ولو

لم يمكنك خداعى ، وإيهامى بأننى (موشى حايم نزارائيل) (*) .

صاحت محنقة :

.. لماذا ؟ .. لماذا كان من المستحيل أن أتزوجنى ؟ .. مئات من

الرجال لم يتمنوا خيرا من زواجهم منى .

قال فى برود :

.. ربما كان هذا هو السبب .

صاحت فى حدة :

(*) راجع قصة (الخطبوط) -- المقطرة رقم (٨٢) .

— ماذا تعنى ؟

أجابها فى صرامة :

— أنت تدركين ما أعنيه .. ولا أريد كلمة واحدة زائدة ، فى هذا الشأن .

لظفها بلهجة لمرّة . كانت تجعد الدماء فى عروقها ، فلاننت بالصمت لحظات . ثم قالت فى لهجة لها طعم الدموع :

— ماذا أفعل لتحبينى ؟

أجابها مشيخا بوجهه :

— اتركى الأمر للزمن .

سألته فى مرارة :

— وهل هناك أمل ؟

تنهد فى صمت ، وقال :

— من يدري يا (سوليا) ؟ .. من يدري ؟

اكتسبت لهجتها شيئا من الشرامة ، وهى تقول :

— أما زلت تحبها ؟

لم يجب على الفور ، ففالت فى حدة :

— إنك تحبها .. أليس كذلك ؟

قال فى شىء من الصرامة :

— كيف حال الصغير ؟

صاحت :

— لا تبدل الأمر ، ولا ..

فاطعها مشيخا إلى الأفق :

— يبدو أن لدينا زهرا .

تطلعت إلى حيث يشير . ورأت مصباحى سيارة يقتربان من القصر ، عبر الطريق الممهّد الخاص ، ففالت فى حذر :

— ومن ذا الذى يقضى لزيارتنا ، نون موعد سابق ؟

رند (أدهم) :

— من يدري ؟

تابع ببصره السيارة ، التى قطعت الطريق كله ، حتى توقفت أمام الباب الرئيس للقصر ، وسمع سائقها يقول لراكبها الوحيد ، فى إنجليزية ركبة :

— ها هو ذا قصر السنيور (أميجو صاندو) ياسنيور . وها هو ذا قلب هناك ، مع السنيورا (نورما) .

تصاعل (أدهم) فى حذر ، عين يكون هذا الزائر الغامض ، ولكنه لم يكذب بلسمه ، وهو يغادر السيارة ، حاملا حقيبة الصغيرة ، حتى هناك :

— أنت ١٢

لما (سوليا) ، فقد انعقد حاجباها فى شدة ، وأدركت أن هذا اللقاء قد يكون بداية جديدة لـ (أدهم) ..

لو نهاية أخرى ..

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(الشعلب)